منشىء المجلة
انطون الجميّل
الزهور
المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الثالث
مايو (ايار) ١٩١٣
السنة الرابعة

شاعرية خليل مطران [1]

على راية الفرقة يعلِّق القائدُ شارةَ المجد والشرف ، عند ما يبلي أفراد تلك الفرقة البلاء الحسن في مواقع القتال . . .

وفي ميدان النهضة الادبية الحديثة أبلى شعراؤنا بلاءً حسناً ، فكأن سموَّ افندينا المعظَّم قد علَّق تلك الشارة على رايتهم اذ وضعها على صدر شاعرنا خليل مطران . . .

فليهنأ الخليل حامل لواءَ الشعر العصري ؛ وليهنأ النيشان الذي حلَّ على صدر يحوي الدرَّ والجوهر؛ وليُحمَدَ مليكُ البلاد على آلائه وليُشكر . . .

أما بعد . فقد رأيت أن خير ما يصاغ من التهاني في مثل هذا الاحتفال الزاهر هو حديثٌ أطارحكم اياه ، ايها السادة ، عن المحتفل بهِ وعن شاعريته . فأقول :

« منشدٌ للغرامِ لم يشدُ إلاَّ   كان إنشادُهُ نواحاً شجيًّا »

---

(١) خطاب قدّمه منشىء هذه المجلة الى « مجلة سركيس » بمناسبة حفلة تكريم خليل افندي مطران

« شاعرٌ كان عمرُهُ بيتَ تشبيبٍ وكان الأنينُ فيهِ الرويَّا »

« إنَّ في نظمِهِ لحسًّا لطيفاً باقياً منهُ في السطورِ خفيَّا »

هي أبيات كتبها خليل مطران على الصفحة الأولى من ديوان الشاعر الفرنسوي « ألفرد ده موسه » . ولا يسع من ينظر فيها الا ان يقابل بين حالتَيْ الواصف والموصوف ، وشعر الأول والثاني ، فيجدها تنطبق أتمّ الانطباق على الاثنين : كأن الشاعرَ العربي وصف حاله لما وصف حال الشاعر الافرنجي . . .

من المعروف أن لحياة الكاتب ، والمحيط الذي ينشأ ويعيش فيهِ تأثيراً كبيراً في كتابته . ونرى على ذلك دليلاً واضحاً في شعر خليل :

دبّ شاعرنا وشبّ تحت سماء سوريا الجميلة ، بين جبالها وقممها البيضاء ، أمام بحرها الصافي وأمواجه الزرقاء ، فجاء شعره رقيقاً لطيفاً... ترعرع وكبر في وادي النيل بين آثار المدنية القديمة وصروحها العظيمة ، فكان إنشاده فخماً عظيماً . عاش تارة في القرى والجبال ، فتشرّب حب الفضيلة والطبيعة ، فأسمعنا الشعر زاهراً طاهراً ؛ وعاش طوراً في المدن ، فراعه ما فيها من التعاسة والشقاء ، فألقى علينا إنشاده مبكياً زاجراً

قال في مقدمة ديوانه ان القارئ « يدارجهُ مدارجةً تمثِّلهُ لديهِ في كل حالة مرَّ بها » ولقد أصاب في ذلك ، فان شعره بالحقيقة رسمٌ تمثّلت لنا فيهِ كل أطوار صاحبه ، وارتسمت بينْ أبياتهِ كل عواطف قلبه ، وتأثرات فؤاده . وهذا سرُّ محاسن شعره العديدة

وصف لنا خليلٌ حياته في صباه ، بين آثار بعلبك ، فتمثلناه :

« نزقاً بينهنَّ غرًّا لعوباً لاهياً عن تبصُّرٍ واعتبارِ »
« مستقلاً عظيمَها مستخفاً ما بها من مهابةٍ ووقارِ »
« نتبارى عَدْواً كأنا فراشا روضة ما لنا من استقرارِ »

ثم بعد ان كبر وخاض معترك هذه الحياة نلقاه :

« في هجرةٍ لا انسَ فيها للغريبِ ولا صفاء
تتقاذفُ الآفاقُ بي قَذْفَ العواصف للهباء
وتُحيطُ بي لججُ الصروف فمن بلاءٍ في بلاء »

وهكذا يمكننا ان ندرس حياة خليل شطراً شطراً ، من مطالعة ديوانه سطراً سطراً

قلنا انه عاش بين جمال الطبيعة ومظالم البشر ؛ وهذا ما قوّى فيهِ الخيال والشعور . ومعروفٌ أن هاتين القوّتين هما جناحا الشاعر يحلّق بهما الى أعلى سماء الشعر ؛ ويأمن تهشمهما اذا كان العقل رائدهُ في حياته العلوية . وقد قال في مقدّمة ديوانهِ إنَّ شعرَه هو « شعر الحياة والحقيقة والخيال » أي انَّ الذي أوحاهُ هو الحسُّ والعقل والمخيَّلة . وهذا هو التقسيم الذي نتبعه في درس شعره :

١ — الخيال :

هو أقوى قوانا العقلية لأنه وحده القوة الفاعلة الموجِدة ، وسائر القوى ، كالحس والحافظة والعقل ، ليست الا قوى مفعولة تتأثر وتعمل بما يطرأ عليها . واذا كان الشعر كما حدّه مرمونتل « صورة تتكلم او كلاماً

يصوّر » ، وهو كذلك ، يكون الخيال شرط الشاعرية الأول . وقد قيل: « الشعر هو ابنُ الخيال البكر » . وبفضل هذه القوّة يفوق الشاعرُ المصوِّرَ ، لأنه بكلمة واحدة كثيراً ما يمثّلُ لنا مشهداً يقتضي تصويره ألواناً مختلفة وتفاصيل متعددة . وكثيراً ما رأينا « خليلاً » أدقّ تصويراً وأبلغ رسماً من أمهر المصوّرين ، فاذا وصف مثلاً الجنديّ الجريح وقائده يقلّدُهُ وساماً ، قال :

« ..... فقلّده وساماً　　　وكلُّ جراحةٍ فيهِ وسامُ »

واذا كانت نفسهُ مثقلةً بالهمّ ، يرى ذلك الهم

« .... كبحرٍ　　　ضمّ في جوفهِ البعيد غريقا »

واذا شكت عينهُ المسهّدة طول الليل ، فهي :

« تحسب السرجَ في حشاهُ قروحاً　　　وترى الشهبَ في سماهُ حروقا »

وهذا بيتٌ تكاد تكون كلُّ كلمةٍ فيهِ صورةً حسية

واذا تبسم أمامه عبدٌ يرى ابتسامهُ

« ... مثل وميضٍ في حالكٍ مسودّ »

ويرى الليلة الجميلة :

« أشبهَ بالجاريةِ الغراء　　　في حلةٍ شفافةٍ سوداء »

واذا تمثّل الشمسَ منيرةً في كبد السماء ، تصوّر له مخيلتهُ المتقدة هذا المنظر تصويراً يعجز عنه قلم المصوّر ، فيقول :

تبعثُ الشمسُ باهراتِ شعاعٍ　　　تغتدي بانحدارهـا شبهَ زُبدِ

فهي في الافق تارةً مسحاتٌ　　　من بهارٍ وتارةً نثرُ وردِ

وهي بين الغصون نسج دقيقٌ من نضارٍ يشفُّ عن لازوردِ

واذا خاطب الغادة الحسناء ، قال لها :

أنتِ ابتسامٌ صيغ في قطرةٍ من الندى في قَبَسٍ من صباح

واذا رأى قرطين (حلقاً) في أُذن تلك الحسناء تصوَّرهما « دُرًّا جرى من صَدَف »

واذا رآها مكللةً بزهر الفل أعجب « بالورد يحمل فلاًّ »

واذا كانت تلك الغادة مقبلةً رآها :

« . . . . كالغصنِ أثقلهُ الجنى فمال قليلاً واستوى متقوّما »

واذا وصف الصبيةَ اللعوبَ الطروب ، قال فأبدع وصفاً وتشبيهاً :

« ضحّاكةٌ كالنورِ في الزهرِ رقّاصةٌ كالغصنِ في الوادي »

« كرّارةٌ كنسيمة السحرِ ثرثارةٌ كالطائرِ الشادي »

وهل تكون مثل هذه الفتاة اذا نزل بها همٌّ الاَّ :

« كطائرٍ راقهُ غديرٌ فرفَّهُ جانحاً وطارْ »

واذا عبث الهواء بشعرَها قال :

« وتناثرت ضُفرُ الفتـاةِ غمائماً سترت عن الأبصار طلعة نجمها »

واذا وصف الولد الذي لا يقرُّ له قرار ، قال :

« كزهرة روض تمرُّ بها فتقلقها النُسُمُ السائره »

واذا تكلم عن السفن الحربية المائسة على ظهر البحار وصفها كالجنّ في جدِ العواصف تلعب » واذا وصف سلطـة الملك صاحب الشوكة والاقتدار ، قال :

« أنت الرجاء فأي شيء ترتجي   والروعُ انت فأي شيء ترهبُ »
« والملكُ جسمٌ أنت فيـهِ هامةٌ   ويداك مشرقُ شمسهِ والمغربُ »

أو قال ايضاً فأجاد :

« وكأنّ درّة سيفهِ عينٌ ترى   ما تحت قائمِ سيفـهِ آجالا »

فما أبلغ هذه الاستعارات والتشابيه وما أجمل !

واذا وصف جبلاً مزحلقاً صوّره :

« كثيرَ الثلوم كأنّ الفتى   اذا زلّ يهوي على مبردِ »

وهو بيتٌ من قصيدةٍ عصماء عنوانها « فتاة الجبل الاسود » فيها من الوصف الفتان ما شاء الخيال وشاءَ التفنن. من ذلك انه عندما يصفُ جمال الفتاة وهي بارزة الى ساحةِ القتال لا يصفهُ كما وصف جمال غيرها من الحسان ، بل يراعي مقتضى الحال ، ويستعير كل صوره من التعابير الحربية ، فيقول :

« لهيبُ الحروبِ على وجنتيهِ   والنقعُ في شعرهِ الأسودِ »
« وفي عينهِ مثلُ برقِ السيوفِ   وظلُّ المنيـةِ في الأثمدِ »

وعند ما تنكشف حقيقة هذا الفتى — أو بالأحرى هذه الفتاة — فتكشف عن صدرها أمام قائد الأعداء ، يُبدع خليل في وصفها أيما ابداع اذ يقول :

وأبرز نهدَي فتاةٍ كَعابٍ   بطرفٍ حيّي ووجهٍ ندي
كَحُقّيْ لُجَينٍ بقفلَي عقيق   وكنزين في رَصَدٍ مرصدِ
فكبّرَ مما رآهُ الأميرُ   وهلّل كلٌّ من الشُّهَّدِ

وراعهمُ ذانك التوأمان وطوقاهما من دم الأكبدِ
ووثبُهما عنـد ما أُطلقا الى ظاهر الدرع والجسدِ
كوثبِ صَغار المها الظامئاتِ نفرْنَ خفافاً الى موردِ

ويطول بنا المقال لو جئنا على ذكر كل ما توحي المخيلة الى شاعرنا من لطائف الابتكار. وله قصيـدة شهيرة في وصف بعلبك هي مجمع الصوَر وملعب الخيال. وقد جعلتهُ بحقٍّ يسمى «شاعر بعلبك والاهرام» وبالاجمال فان خيال خليل يزين ويحسن ويحلي كل ما تقع عليهِ أبصاره، فيحقُّ له ان يقولَ كما قال لعروس شعره:

وأبدلُ نور الشمس ما شاءتِ المنى عقيقاً وتبراً ساكباً ونضارا
وأنظمُ من زُهر الدجى لكِ خاتماً وتاجاً وعقداً فاخراً وسوارا
وأصنعُ نوطاً باهراً من هلالها وأنسج من غزل الضياء دثارا

وهذا الذي وضع خليل في مقدمة شعراء الطبقة الاولى في الوصف. اما في الشعر القصصي والخطة التي اختطها للنظم العربي في هذا الباب، فاقرأوا «عين الأم» و «نابليون الاول» و «ليمون يوسف افندي» و «حكاية شاعر» و «شهيد المرؤة» و «العصفور» و «العقـاب» و «مقتل بزر جمهر» و «الطفلة البويرية» و «حكاية عاشقين» و «الجنين الشهيد» الخ تروا المقام الفريد الذي ناله خليل في هذا النوع

على ان الخيال وحده لا يجعل المرء شاعراً. اذ يكون نظمهُ والحالة هذه بارداً جامداً، نرتاح اليهِ ونجد فيهِ بعض البهجة، لكنهُ لا يحرّك فينا ساكناً، ولا يثير شعوراً كامناً، كما نرى ذلك في شعراء الوصف؛ فان هناك ركناً آخر يقوم عليهِ بيت الشعر وهو الحس او الشعور

٢ — الشعور

قال خليل مطران في مقدمة ديوانه : « وليس اكثر شعري هذا بين الطرس والمداد الاّ مدامع ذرفتها ، وزفرات صعّدتها ، وقطع من الحياة بدّدتها ؛ ثم نظمتها فتوهمت اني استمددتها » وهكذا يتحقق لنا قوله الاول ان شعره ليس فقط « شعر خيال » . بل هو ايضاً « شعر حياة » ومن القول ما يؤثر في النفس وان خلا من كل صورة ، لانهُ صورة الحياة الحقيقية . وفي شعر خليل الشيء الكثير من هذا القبيل . كقوله مثلاً في « مشاكاذ » وهي من اوليات قصائده :

« أرى مثل سهدي في الكوكبِ ... أحلَّ بهِ مثلُ ما حلَّ بي

يهيمُ هياميَ من وجدهِ ... ويهربُ من مهدهِ مهربي

ونجتازُ هذا الفضاء الرحيبَ ... إلاَّ بنا فهو لم يرحبِ

فيا نجمُ ما النارُ تُفني حشاكَ ... وما سيلُ مدمعك الصيّبِ

أسِرَّ هواكَ الى صاحبٍ ... يؤاخيك في همك المنصبِ

اما كلُّ ذي كلفٍ متعبٍ ... شريكٌ لذي الكلفِ المتعبِ »

فهذه أبيات كلها رقةٌ وشعور على خلوّها من الصوَر وأساليب البديع . وان في المواضيع الشعرية المبتكرة التي طرقها خليل لبرهاناً واضحاً على شعور كبير مقرون بخيالٍ حادّ . فالحادثة البسيطة تُهيج عواطفهُ وتثير اشجانهُ . فينظمها ويجيء نظمُها محرّكاً عواطف قارئهِ مهيجاً احزانه . اسمعهُ يتكلم عن مهد الطفل تظنهُ الأم الحنون :

ويهزُّهُ خفقُ الفؤادِ على مناجاةِ الضمير

واذا سمع ذاك الطفل يناغي في مهده، فضَّل مناغاته على هديل الطيور وتغريد البلابل

« . . . . فكانما أنشدَ علّم الطيورَ النغما »

« وجمَعَ الأملاكَ حول المهدِ يُسمعها شدوَ المنى والسعدِ »

هو يشعر بالألم فيصوّر لنا الفؤادَ المتألم :

« كشلوٍ بأنيابِ الهمومِ مبضَّعِ » .

ويدري اي تأثير يصيبُ القلبَ المجروح فيمثّل عواطفهُ المكسورة

« كجرحٍ قد ألطّفهُ بلمسي وإن هو مسَّهُ غيري أُضامُ »

هو يفهم قيمة الدمعة التي قال «لامرتين» ان فيها من الشعر اكثر مما في دواوين جميع الشعراء، فيمثّل لنا الدموعَ غاسلة كل إثم، مطهرة من كل دنس

هو ذاق من الحب حلوهُ ومرَّهُ فيمثّل لنا الحب تارة غاية الحياة، وطوراً الباعث على كل أمرٍ عظيم

والحبُّ ألزمُ للارواحِ ما عظمت وقد يكونُ لها أدعى الى العِظَمِ

أما تحديده للحب فهو :

الحبُّ في المعنى العميم الكامل معنى المراحم والفداءُ الشامل

يعرف أن قلب الانسان يعيش ويفنى من هذه العاطفة في وقت معاً فيقول :

اسكريني على الدوام وأفني مهجتي أدمعاً وعزمي حريقا

وينصح اخوانه اذ يقول :

أحباي اني مذ أفقتُ من الهوى　　شقيٌ فكونوا الدهرَ فيهِ سكارى

اما الذي لم يُدرك هذه العاطفة فهو لم يُدرك سرَّ هذه الحياة :

مَن لم يُحبَّ فما الصفاء له　　صفوٌ وما أكداره كدرُ

ويرى الحياة ولا يعيشُ كما　　مرّت على مرآتها الصورُ

ويقول عن قلبه وهو يعني كل قلب

يبغي الشفاء من الولوعِ　　ولا شفاء مع الولوعْ

ألف الصبابةَ فهي أمٌّ　　مُرضع وهو الرضيعْ

والطفلُ يشقى بالفطامِ　　فكيفَ يقبلهُ مطيعْ

لا متسع لدينا ايها السادة لذكر كل ما يجول في صدر شاعرنا الرحب من العواطف ، كحنينه الى الوطن ، وعطشهِ الى ذلك المنهل الصافي الذي روى صباه ، ووفائه لأصدقائه ونزوعه الى كل أمر نبيل . فان فؤادهُ كصحيفةٍ حساسة ينطبع عليها كل ما يمرّ بها ، بل هو الغصن الرطب يميل بهِ كل نسيم ، أو وجه البحيرة الصافي يحرّكه كل ريح . وهو القائل عن نفسه :

والذي درعهُ فؤادٌ رقيقٌ　　فجريحٌ إن يقتحمْ أو يقاحمِ

فمسكين ذو القلب الرقيق في معترك هذه الحياة اذ يبيت

« وفي الجسم نارٌ يلذعُ القلبَ وقدُها　　وفي القلبِ نارٌ مثلها تلذعُ الجسما »

واذا كان صاحب القلب الرقيق شاعراً من طبقة خليل فهو يصيح :

« أنا الألم الساجي لبعد مزافري　　أنا الأملُ الداجي ولم يخبُ نبراسي »

« أنا الأسدُ الباكي أنا جبلُ الأسى   أنا الرمسُ يمشي دامياً فوق أرماسِ »

رقّت حواشي مهجته وشفّت عن محرّكات نفسه، فسمعنا خفوق قلبه، ورأينا ذلك القلب كما يصوّره :

« وقلبيَ مسموعُ الخفوق معلّقٌ   بمنهدمِ الاركان أجوفَ معتلِّ »

بل ما أبلغ التصوير وما أشدّ التأثير عندما ينادي :

اللهَ في صدرٍ وهى   وتقوّست منهُ العظامْ
خاوٍ كجوف الغارِ تم   لأهُ المخاوف والظلامْ
إلاّ سراجاً حائلاً   فيهِ يُنير بلا ابتسامْ
روحٌ تضيءُ على ضر   يحٍ في صميم القلب قامْ

المجال واسع لكتابة درس من أبلغ الدروس النفسية في شعور الشاعر يُقتبَسُ من شعر الخليل . بل ان في قصيدته « المساء » التي أنشدها وهو عليلٌ في مكس الاسكندرية كفاية . فمن يطالعها يرى « قلباً أذابته الصبابة والجوى » ويسمع الشاعر يشكو اضطراب خواطره الى البحر وهو :

ثاوٍ على صخرٍ أصمّ وليت لي   قلباً كهذي الصخرة الصماء
يتنابها موجٌ كموجِ مكارهي   ويفتّها كالسقمِ في اعضائي
والبحرُ خفّاقُ الجوانب ضائقٌ   كمداً كصدري ساعةَ الامساء
تغشى البريةَ كدرةٌ وكأنها   صعدت الى عينيّ من احشائي

ومن كانت هذه حالته يرى في غروب الشمس دمعة تذرفها الطبيعة على موته فيخال تلك الشمس المؤذنة بالزوال :

مرّت خلالَ غمامتين تحدُّراً　　وتقطَّرت كالدمعةِ الحمراءِ
فكأنَّ آخرَ دمعةٍ للكونِ قد　　مُزِجَتْ بآخرِ أدمعي لرثائي

فمن منا لم يشعر بمثل هذه الكآبة . ولكن قليلٌ من له مثلُ هذه المقدرة على إبراز هذه العواطف في ذلك القالب الفتان . يتمنى شاعرنا أن يكون له قلبٌ « كالصخرة الصماء » ونحن نتمنى ان يبقى قلبه رقيقاً ، ليأتي بمثل هذه الآيات البيّنات . فكما ان الشجرة لا يسيل ماؤهـا الاّ من جراحها فكذلك قلبُ الشاعر لا يسيلُ شعره الا من جراحه . أو كما أن العنقود لا يجود بعصيره الطيب ، ما لم تضغطهُ الآلة العاصرة ، كذلك قلب الشاعر ، لا يجود برقيق القول، ما لم تضغطه يد الأحزان والشقاء... قال اسكندر دوماس بعد مطالعته ديوان ڤكتور هوغو ، وفيهِ ما فيهِ من توجعُّ فؤاده : « فليتبارك الربُّ الذي يُرسل لنا مثل هـذه المصائب ، ليُخرج من صدرنا مثل هذا الهتاف البديع . . ! »

٣ — العقل

أيها السادة . رأينا في شعر خليـل عمل القوّتين الأساسيتين في الشعر — أي الخيال والشعور ؛ وهما قوّتان قد تشردان اذا لم يكن هناك قوة ثالثة — وهي العقل — تخفف من غلوائهمـا . وقد أصاب قدماء اليونان اذ صوّروا الشاعر في مركبـة يقودها جوادان جامحان — هما الخيال والشعور — وجعلوا زمامهما ـــفي يد « العقل » ، لئلا يطوّحا بالشاعر الى الهاوية . وهذا ما قصده ايضاً من حدّد الشعر بأنهُ « الفلسفة

تحمل زهراً » وهذا ايضاً ما أراده خليل ، لما قال إن شعره « شعر خيال وحياة وحقيقة » . فهو الشاعر الفيلسوف الذي يمعن النظر في حوادث هذا الكون وعللها ومعلولاتها ، ويستنتج منها العبَر والحكم . وفي شعر خليل الشيء الكثير من هذا القبيل . شهد الفيلسوف جول سيمون احتفالاً أُقيم اكراماً لنابليون الثالث ، فنظر الى الشعب المتجمهر الهاتف هتاف النصر نظرة غضب وازدراء ، وقال لمن حوله « هكـذا يخلقون الظُلَّام . . ! » هـذا ما قاله الفيلسوف الافرنجي ، فاليكم ما قاله شاعرنا العربي عن كسرى وقومه :

هم حكّموهُ فاستبدَّ تحكُّماً　　وهمُ أرادوا أن يصولَ فصالا
والجهلُ داءٌ قد تقادمَ عهدُهُ　　في العالمينَ ولا يَزالُ عضالا
لولا الجهالةُ لم يكونوا كلُّهم　　إلاَّ خلائقَ اخوةً أمثالا
لكنَّ خفضَ الاكثرين جناحَهم　　رفعَ الملوكَ وسوَّد الأبطالا
واذا رأيتَ الموجَ يسفلُ بعضُهُ　　ألفيتَ تاليَهُ طغى وتعـالا
نقصٌ لفطرةِ كلِّ حيٍّ لازمٌ　　لا يرتجي معـهُ الحكيمُ كمالا

فهذه أبيات كلها حكمة وفلسفة اجتماعية . ولا يشنّ شاعرنا الغارة على السلطـة بل يريدها مبنيةً على العقـل والتروي ، ألا وهو القائل « والحكم أعدلُ ما يكون جدالا » ولكن هو الاستبداد يملي عليهِ مثل هذه الابيات :

نعم هي دارٌ للملوكِ عتيقةٌ　　ولكن غدَتْ للفحش داراً وبئسما
بنـاءٌ بمالِ الناسِ قام جبايةً　　ولو ذوّبوا تذهيبَهُ لجرى دما

كذلك هو يشجب الاعمال الجائرة اينما رآهـا . اسمعوه يخاطب ملوك مصر بناة الاهرام.

لم يُغنِكم منهُ البنـاءُ عاليا　　والأرضُ نهباً والملوك أعبُدا
وكان يُغنيكم جميلُ الذكرِ لو　　خفضتمُ اللحدَ وشدتم بالهدى

وهو القائل ايضاً :

معرّةُ الظلمِ على مَن ظلَم　　وحُكم مَن جارَ على مَن حكمْ

كل هذا لأن الخليل فهم مهمة الكاتب ، ولا سيما الشاعر ، وهي مناصرة الخير ومناهضة الشرّ ؛ فاذا رأى القويّ يعبث بحقوق الضعيف يهتف :

فيمَ احتباسك للقلمْ　　والأرضُ قد خُضبت بدمْ
سدِّدْ قويمَ سنانهِ　　في صدرِ مَنْ لم يستقمْ
اليوم يوم القسطِ قد　　قامَ الأُولى ظَلَموا فقمْ

ثم ينبه قومه للنهوض من ثبات الجهل فيقول :

نمنـا على جهلٍ وقد　　عاشَ الكرامُ ونحن لمْ
فاذا انقضت آجالنـا　　فمن الرُّقادِ الى العَدَمْ
واذا بُعثنَا بعدهـا　　فكأنها رُؤيا حلمْ

يرى الخليل أجيال الناس « تجيءُ وتنقضي » . يرى الممالك « تشيد بالصوارم » وتفنى بالمعايب . فبعد ذلك يقول :

ولم أرَ شيئاً كالفضيلة ثابتاً　　نبَتْ عنهُ آفاتُ البلى والمعاطبُ

ثم نراه ، وقد كادت المصائب تصرعه ، يصيح من قلب مكلوم :

غلبتني صروف دهري على صبـ ـري وأفنته نارُها في الملاحم
الأمانَ الأمانَ ألقيتُ سيفي وطويتُ اللواء تسليمَ راغم

ولكن إنْ هيَ الا نفثة مصدور ، لا يلبث بعد تفريجها ان يعود فيظهر مظهر الرجل الجلد :

شأني مكافحةُ الخطوب اذا دجا نقعُ الحوادثِ في الليالي السودِ

وفي شعر مطران قصائد كثيرة تتطلب درساً مستقلاً لما جاءَ فيها من المبادئ الاجتماعية يضطرنا ضيق المقام الى التنويه بذكرها فقط مثل « وفاء » و « العقاب » و « حكاية عاشقَين » و « الجنين الشهيد » و « الطفل الطاهر » الخ .

***

كل ما ذكرناه من المختارات بهي جميل — وهناك أيضاً غير ذلك محاسن عديدة . وبدائع شتى — وهي على ما رأيتم فيها من الجمال والسناء كالجواهر كانت اجمل واسنى لو رأيتموها منظومة في عقدها لا منثورة مستقلة كما أوردتها

وقد عرف شاعرنا أن يستفيد من لغات الاجانب دون تقليد ، وينهج نهج قدماء العرب دون تقييد ؛ فاحترس بصبغة العرب في التعبير . وادخل اساليب الافرنج في التأليف والتفكير . فكانت نتيجة ذلك انه ارغم الشعر العربي على اداء الحاجات الجديدة دون ان يتخطى ما سنَّ له من القواعد القديمة . قلنا بلا تقييد ولا تقليد لأن خليلا نزوع الى الحرية في كتاباته كما هو شغف بها في حياتهِ

هذا بعض الشيء عن شاعرية خليل مطران وعبقريته . وقد رأيتم ايها السادة الخطة الجديدة التي اختطها للشعر العربي — وهي خطة المستقبل . فحق لنا بعد ذلك ان نعده استاذاً علماً في هذا الفن . وحق لعصرنا ان يفاخر به وبأمثاله من شعرائنا النابغين ابهى عصور اللغة العربية

أجل يا سادة ، جال الشعراء في عصر العباس جولة وصلوا بها حبل النسب بين العصرين الزاهرين ، والعهدين الناضرين : عهد الرشيد والمأمون ، وعهد عباسنا الميمون . فعقدت في ذلك الالوية لابن الوليد وابن هانئ . وعقدت في هذا لشوقي وصبري وحافظ ومطران . فوضع مولانا — حرسه الله — بيده الكريمة آية رضاه على صدر علمها الخفاق فوق رأس فارسها السباق . كما يضع القائد شارة الفخر على لواء النصر — ولفرسان البيان اسوة بفرسان الميدان

﴿ اليمين ﴾

انما يحملُ الرَّجلَ على الحلف احدى هذه الخِلال : إما مهانة يجدها في نفسه وضرَعٌ وحاجةٌ الى تصديق الناس ايَّاه ؛ وإما عيٌّ بالكلام حتى يجعل الأيمان لهُ حشواً ووصلاً ؛ وإما تهمةٌ قد عرَفها من الناس لحديثهِ فهوَ يُنزِل نفسهُ منزلةَ مَن لا يُقبَل منهُ قولُ الاَّ بعد جهد اليمين ؛ واما عبثٌ في القول ، أو ارسال اللسان على غيرِ رويَّةٍ ولا تقدير　　　　(ابن المقفّع)

خواطر

« في الخيرات والشرور »

ترك الأوَّلون من البشر للأخلاف كثيراً من الخيرات ، وخلَّفوا لهم وافراً من الشرور ؛ وقد مرَّ الدهرُ تلوَ الدهرِ ، وجاءت أجيالٌ خلف أجيال ، وتلك الشرور ثابتة لم تزحزحها العقول ، ولم تمتنع عليها النفوس ؛ بل كأنَّ السعيد الفائز من الاخلاف ، هو المحتفظ الضنين بذلك التراث ، فاذا ما تأملنا في أبديَّة هذه الأسواء وشبهِ ازليتها ، وجب علينا ان لا ننظر الى محافظة الأجيال على تلك التركة المباركة بنظر التهاون ، وان لا نجعل علتَّها التصادف ، بل يجب ان نحني الرأس قليلا امام ما هنالك من المجهولات التي اقتضت هذا الأمرَ ، عسى ان يُفتحَ لنا بابٌ من ابواب العلم بعد تأدية هذه السجدة سجدة الاعتراف بوفرة اسرار الكون وعظمتها ، وليس ما يخفى على اكثر البشر إلاّ من الاسرار

ولقد اختلف كثيراً نظرُ المفكرين في الموازنة بين الخير والشرّ ، ومآل الأقوال كلها الى ثلاثة : من يرى ان الشرّ اكثر ، ومن يرى ان الخير أغلب ، ومتوسط يرى ان بين الخير والشر تعادلاً مع رجحان خفيف لجانب الخير

يقول مغلّبو الشر : ألم ترَ ايها الانسان الى كثرة الامراض ، ووفرة الأحزان ، وشدة العدوان ، وغلبة الحرمان ، وشيوع الشكوى ، وعموم البلوى ؟ .. ألم ترَ كيف يقلُّ أولو اليسار حتى يستطاعَ عدُّهم ، وكيف

يكثر المعسرون حتى يفوقوا العدّ ، ويعيَ عن لحاقهم المقدار ؟ . . ألم ترَ كيف يشيع الجهل حتى يصعد كل تلعة ، ويهبط كل واد ، ويدخل كل بلدة ، ويزور كل بيت ، ويحلّ كل دماغ ، وكيف يتقاصرُ العلم ، ويتقاص ويختبئ وينطوي حتى تُشَدَّ اليهِ الرحال ، وتُحملَ في سبيله الاثقال ، وتُبذل في التفتيش عليهِ الاموال ، وتُنفق فيهِ السنون الطوال ، حتى اذا ما اهتدى الطالبون الى جنابه ، وجدوا حوله طائفةً من الحواجز ، فيرجع بأكثرهم الملل والضجر واليأس ، وما يفوز باقتحام تلك الحواجز الا قليل من الطالبين ، وما الطالبون بكثير . . . ألم ترَ الى العقول السليمة — على قلتها — كيف يؤذيها الجهل المُجذِر [1] بما اخترع من حكايات وتهاويل ، وكيف يسمُّها العلم الابتر بما وضع من شروح وتآويل ؛ والى النفوس الكريمة كيف يقزّزها ظهور القبيح واذاعته ، وكيف يؤلمها خفاء الجميل واضاعته ؟ . . وانظر الى الشهوات كيف تطغى ولا تقف عند حد ، وكيف قضت علينا بالاستمرار في النصب ؛ وانظر الى قلة من تألفه النفس ، والى كثرة ما يحول مع هذا بينها وبين إلفها ، والى ما يصيبها بعد هذا كله من سهام الفراق ، وما يعروها بسببه من الجوى ؛ وتأمل في قصر الآجال مع طول الآمال ، وقلة المعاضدين مع كثرة المعاندين ، وضعف الوسائل مع قوة الرغائب ، وتهجم الظلمات مع تحجب النور ؛ وارمِ ببصرك الى كثرة الزمنى والمبرسمين وأرباب العاهات ، ولا تتغافل عما يرافق العجز والاحتياج من المهانة ، وللاحساس بالمهانة آلام

---

(١) العريق ذو الجذور الراسخة

عظيمة ، وقل لي بعيشك ما اكثر العجز والاحتياج في هذه الحياة ؛ بل قل لي أي الناس يفارقه شيء من العجز وشيء من الاحتياج ؟ هبك مليكاً ، ألا ترى انك عاجز عن كثير ، ومحتاج الى كثير ؟ فماذا يخامر قلبك كلما وجد طعم العجز ، وماذا تجده نفسك كلما ذاقت الاحتياج ، وما هذه الدنيا التي لم يسلم من آلامها صغير ولا كبير ، ولا جليل ولا حقير ، ومتى يكون خيرها اكثر من شرّها اذا كان هذا شأنها من ادّخار الآلام لكل ذي روح على اختلافٍ وتفاوتٍ بينهم في المقادير فقط ؟ ؟

ويقول مغلّبو الخير : لقد جعل الفاطر لنا البصرَ لنرى بهِ كلّ محسوس ، وأكرمنا بالبصيرة لنطّلع بها على ما وراء المرئي ، وقد ملأ السموات والأرضَ بما لا يُعدُّ ولا يحدُّ مما يبهج النفوس ويسرُّها ، فلماذا تعمى الأبصار والبصائر عنها كلها ، ولا ترى إلاَّ الأمراض وآثارها ؟ أفننسى نِعَم الشمس ، أم آلاء الأرض ؛ أتسخير البحر ننسى أم استخدام البرّ ، أنغفل عما يُفيضهُ التعاون البشريُّ العام من بركات العقول ، وثمرات الهمم والنفوس ، أم عما توحيه الفطرة الانسانية من تعاطف القلوب ، وما تؤتيه من لذيذ العلاقة بين المحبّ والمحبوب ؟ يا للعجب كيف تقعُ الأبصار على بعض الأقذاء ، وتعجز عن أن تمسحها بالتفاتة الى روضة فيها أطيبُ الأقوات للسمع والشم والبصر ؟ أين ذهب عن الأبصار جمال هذه القبة الزرقاء وقد طرحت عنها جلبابَ الغيوم ، وحسرت لثام الدجون ، فأشرق محيَّاها ، فقابلته الأرض راقصةً ترنّح أعطافها الأغصان ، وتصفّق أكفّها النسائم ، وأين ذهب عن البصائر جمال الحيّ

القيوم الذي نفخ من روحهِ في والد هـذه الذرّية المباركة الحاملة لواء خلافته في الأرض (نعني النوع الانساني) ألا ترزق البصيرة تجلياً من تجلياته تضيء بهِ الدنيا كلها لها فلا يبقى أمامها الاَّ مسابح نور، ومسارح آمال ورجاء وسرور.

لو صحَّ أن الشرّ في هذه الدنيا هو الأغلب، لكان سير هذا النوع الانساني الى ما هو أقبح وأنقص، لا الى ما هو أجمل وأكمل، مع أن المشاهد هو أنهُ كان طول دهره سائراً الى التكمّل، وآخذاً بالتعلي والتجمّل، فلقد كان الانسان كهذه الحيوانات السارحة في القفار، أليفَ آجام وحليفَ أوجار، يدور يلتمس لمأكله ورقاً وعشباً، ويردُ الغدران والأنهار فيعبّ منها عباً، لا يزرع ولا يصنع، ولا يقتني ولا يجمع، لا أداة لديه ولا ماعون، ولا عهد عنده ولا قانون، ثم قفز من بيئتهِ تلك قفزةً إذ ألهمه الفاطر أن يتخذ شيئاً من الأداة، فاصطنع من الحجارة قواطعَ وقواشرَ ونواحتَ، وفصَّل بهذه الأدوات الحجرية ما شاء أن يفصّل من أعواد الشجر على حسب ما هدته اليهِ الحاجة. فعمل من الأعواد مِخيَطاً ومسماراً، ومخرزاً ومحفاراً، ومقياساً ومعياراً، وظلَّ كذلك يتدرّج بهذه الصناعات الابتدائية حتى توصَّل الى الحديد، وهُدِيَ الى معرفة التصرُّف فيهِ فيومئذٍ دخل في دور جديد فصله عن الأدوار الاولى، ومن بعد ذلك بدأ يأتي بالبدائع والطرَف من الصناعات حتى أصبح بيتـه وماعونه وآنيته وأكسيته وأثاثه ورياشه وسائر طُرَف زينته أشياء لا تقف عند حدّ! وقد تحسنت عند ذلك سحنتهُ وبنيتهُ،

وتهذّبت طباعهُ ، وانقلب شتاتهُ اجتماعاً ، وفوضاه نظاماً ، وبلغ من العلم حظاً تقصر كل مبالغة عن وصف عظمه ؛ وما الجهل الباقي بشيء يصح أن يسمى عقبةً في سبيل سلطان العلم الماضي الحكم لأن كثير الجهل قليل ، فألفُ ألف جاهل مثلاً يستطيع أحد العقلاء أن يجعلهم تابعين لكلمته كما تتبع الغنم صوت راعيها . . . هذا وما نحن بمنكرين كثرة الشرور ، ولكنّا مع كثرتها قلما رأينا شيئاً منها الآ ورأينا أمامه قوىً بها يحتمل الناس شدائدها . فاذا صح أن نسمي كلّ شيء من الشدائد مثلاً شرّاً لزم ان يصح تسمية ما يقابلها من القوى خيراً على أنه ليس من الحق أن نُطيّر بالشدائد ، ونتبرّم بها ، وننقم عليها في حين أن كثيراً منها مربيات ومرقيّات للأفراد والجماعات ، ويا لله كيف يكون طعم الهناء لولا العناء ؟ وكيف كنا نستطيع أن نعرف سائر الأنواع المسماة خيرات لولا ما يقابلها من أضدادها إذ لولا المرض ، لقال قائلٌ : ما هي نعمة الصحة ، ثم ما هي الفضيلة لولا الرذيلة ، وما هو الانبساط لولا الانقباض ، وما هو الذكاء لولا البلادة ، وما هو المجد والرفعة لولا المهانة ؟ فكأن هذه الشرور انما وجدت ليكمل بها حظنا مما هي أضدادها

يشكو مغلّبو الشرّ من الامراض وبديهي ان صحة اكثر الافراد هي الأغلب فان مرض أحدهم في العمر مرة أو مرتين أو اكثر كان ذلك لتتضاعف لذته يوم يرجع اليهِ بعد الهجر حبيبه العظيم الذي هو العافية ؛ وان كانت نهاية بعض الأمراض الموت فذلك — والموت محتوم — خير من اختطافه خطفة واحدة على حين غرة ، ولوقوع موت الفجأة في بعض

الاحيان نعرف فضل المرض الذي به يتمكن المرء من وضع بعض الوصايا ومن التهيؤ لاستقبال الأبدية بنفس مطهرة بالندم على بعض الزلات ، وبه يتمكن أهله من حسن توديعه فيزودون نفسه بأثمن شيء عند النفس وهو شذى الاخلاص ، ويتزودون من مرآه برؤية أعلى شيء وهو إباء الحبيب ان يفارق أحبَّاءه ، فهو والحالة هذه ينشدهم بلسان الحال :

ولو نُعطى الخيارَ لما افترقنا　　ولكنْ لا خيارَ مع الزمانِ

وهم ينشدونه :

اذا ترحَّلتَ عن قوم وقد قدروا　　أن لا تفارقهم فالراحلون هُمُ

ويشكو مغلّبو الشرّ من الجهل ، ولو فقهوا لدروا أن ليس كل جهل يُعَدُّ شرّاً ، فانه لو أصبح كل الناس فلاسفة لحلّ بالدوران البشري ما يحلُّ بهِ اذا أصبحوا كلهم أغنياء . على ان من يمعن النظر كثيراً يجد في غباوة كثير من البشر فائدةً ليست بأقلّ من الفائدة التي يجدها في ذكاء بعض الافراد ، وحسبك من فوائد الغباوة لأصحابها أنهم أقلّ تذمراً وامتعاضاً ، فهم لا يذوقون الآلام التي يذوقها النبهاء من مشاهدتهم عيوب مجتمعهم وتقصيره عن غيره مثلاً . وحسبك من فوائد تلك الغباوة للمجتمع أن أصحابها لهم مما يدورون حوله من رحى الاعمال التي عرفوها شغل شاغل عن احداث الفتن والمشاغبات التي توجع الرأس أحياناً على قلة نفع . وتلك الاعمال التي أشرنا اليها قلّ ان يصبر عليها سواهم مع انها قد تكون مما تشتدُّ اليها حاجة الجمهور

وبعد فأيّ شيء ينقمون مما يسمونه الشرور ، وهي إمَّا من اللاتي

تعمُّ فيهوِّنها ذلك العموم ، وامّا من اللاتي يقلُّ وقوعها ، فتمرُّ وتنقلب الى خيرٍ أحياناً . تأمّلْ مهما تعاظم مُصابُ أهل بيت بميتهم ، تجد كلَّ واحدٍ يستطيع أن يهجم على نيران حزنهم برشةٍ من التسلية التي يدور محورها على كون هذا الموت أمراً محتوماً ، وشيئاً طبيعيًّا ، وأنه سبيل الأحياء أجمعين ، وأنه ما من أهل بيت الاّ وقد أصيبوا بمثل هذا على أنَّ الفوائد التي يعرفها العقلاء في الموت يمنعهم عن إدخاله في زمرة ما يسمى الشرور

ينظرون الى الحاضر ولا يتفكّرون في العواقب ، فتعظم بمثل هذا شكواهم ، تأمَّلْ كم من فقير قد آلمه فقرُهُ ، فساقهُ حثيثاً الى السعي والاكتساب ، فلم يلبث غير قليلٍ حتى ذاق لذَّةَ الغنى . فهل كان فقرهُ السابق شرًّا أم كان باعثاً لتحصيل لذّة الغنى المكتسب التي تفوق لذّة الغنى الموروث ... وتأمل كم من مريضٍ أزعجهُ المرضُ وأخافهُ ، فتذكَّرَ ما كان أهمله في الصحة ، فلما أتيح له عناق العافية هبَّ نشيطاً للأخذ بما كان قد أهمله ؛ فهل كان مرضه شرًّا ، أم كان باعثاً لتحصيل لذّة عمل الواجب بعد اهماله ، ومولّداً للذة عناق العافية بعد الصدود ... وتأملْ كم من عاجزٍ قد أقعده عجزهُ عن كثير مما يأتيه أُولو الأشر والبطر ، فأحدث له ذلك صيتاً حسناً ، وآتاه حسنُ الصيت قوةً أصبح قادراً بها على نيل بعض ما كان محروماً منه ؛ فهل كان عجزهُ شرًّا أم كان موجداً للذاتِ من حسن الصيت ثم القوة ثم الفوز ... لعمرك ليس الشرُّ أن لا تكون الآن قويًّا ، فانك قد تقوى وتجد لذةً عظيمة ؛ وكم من ضعيف

قوي ، وانما الشرُّ أن تكون قوياً فتفقد هذه القوة . وكم من قوي قد ضعف ، فما كثرة الضعفاء العتيدين أن يقووا سوى كثرة أبواب الأمل الذي هو روح الحياة وباعث النشاط ، والخير كل الخير في هذا ، وما قلّة الأقوياء المعرَّضين لفقد القوة سوى قلة أبواب الوجل الذي هو باعث الغمّ والانقباض ، والشر كل الشر في هذا . فسبحان من هذا نظامهُ وأثر حكمته ورأفته ، والله رؤف بالعباد

ويقول المتوسطون : ان أعجب ما في الخيرات والشرور أنك تراها متقابلةً كفريقين من العسكر قد وقف أمام كل صف آخرُ مثله في الجانب المقابل كأنما قد وُكل اليها أن لا يألو كلٌّ فريق منها جهده في حفظ القلعة التي هو قائم عليها . بيد ان الجيوش التي نعهدها لا تلبث ساعة أو بعض ساعة من الدهر ، حتى يقرع أحدها الآخر ويفلّه ، وأما جيشا المِنن والمِحَن فانهما ما برحا متوافقين منذ أولية هذا النوع ، ولعلهما سيظلاَّن مكانهما ما دار بنا المدار ، ولكن من سير الانسان نحو التكمل نفقه أن ثمَّةَ رجحاناً لجانب الخير على جانب الشرّ الا انه رجحانٌ خفيف جداً جداً اذ لولا ذلك لما كان الخطو الى التكمل بطيئاً بهذه الدرجة

كل هذا قاله المفكرون . وقد اكثر مغلّبو الشرّ من ترداد شواهدهم والتغني بفلسفتهم ، كأنهم وجدوا المجال واسعاً ، والنغمَ مؤثراً ، اذ لا أوقع في نفس المفجَّعين من اظهار التألم مثلهم ، وذمّ الدنيا التي هي مثار فجائعهم ، ومدار محَنهم ، وكثير من أهل هذا الرأي كانوا شعراء قد ضاقت عليهم مذاهب المعاش ، فأشبعوا دنياهم ذماً وهجواً وملأوا الأسفار بوصف

شرورها من مثل قول حريريهم :

ايّاكَ والدنيا الدنيّة إنها شركُ الردى وقرارة الاكدارِ
دار اذا ما أضحكت في يومها أبكت غداً تبًّا لها من دارِ

أما مغالبو الشر فلم نرَ لفلسفتهم كثيراً من الشروح الضافية ، وانما وقفنا على قليل منها في أخبار وآراء بعض الصوفية والفلاسفة . وقد رأينا بعضهم لا يكتفي بتغليب الخير ، بل يذهب الى أنه لا شرّ على الاطلاق ، وأن الكون كله خيرٌ محضٌ من خيرٍ محض

وما اختلاف المفكرين والفلاسفة وأصحاب الأديان بتعريف الخير والشرّ ، وتعيين أنواع كل واحد منهما بأقلّ من اختلافهم في الموازنة بينهما . كلاً ، بل هو اكثر بكثير . واذا ما نحن استطعنا أن نُرجع الى ثلاثةٍ عددَ مذاهبِ المختلفين في الموازنة فاننا لا نستطيع ان نُرجع الى عدد معيّنٍ مذاهبَ المختلفين في التعريف وتعيين الأنواع . ولا يدري مقدار عذر هؤلاء في استلافهم هذا الأ من جال نظره طويلاً في ميادين الطبيعة البشرية وسبر كثيراً أحوال الافراد والجماعات ، وتأمل ملياً فيما يقعُ فيهِ الحسُّ والعقل من الأغلاط ، وعرف جيداً ما للعادات والتقاليد من النفوذ والتأثير ، وما لها من المنافع والمضارّ ، فرجل أوتي هذا النصيب العظيم من الخبرة يعرف أنه ليس من البديهيّ معرفة ما هو الخير ، وما هو الشرّ . فلا يهزأ حينئذٍ بكثرة اختلاف المختلفين فيهما من أهل الاديان والفلسفات ، ولا يتهكم على أقوام رأوا الخير كل الخير في تهذيب النفس وحرمانها من الشهوات الحيوانية ، ولا على آخرين ضادّوهم كل

المضادَّة فرأوا أن الخير كل الخير في اللذات وانالة النفس كل ما تشتهيه . وكذلك لا يعجب من قد وصفنا حظه من الاطلاع لأقوام يبكون، لكثرة ما يضحك الناس، وآخرين يضحكون من كثرة ما يبكون، فسبحان من خلق بين هؤلاء البشر جذور الائتلاف والاختلاف، وجعل هذا التباين في الأفكار، آيةً خالدةً قاضيةً بمزيد التبصر والاعتبار

عبد الحميد الزهراوي

الحب

« بين شوقي ووليّ الدين »

تراءت لهُ على مستشرف حجرتها صبحاً ، حين لم يلقِ عن اعطافهِ ثيابَ الكرى ، والصبحُ كبسمةِ الرضى على الثغر الالمى ، والروضُ كالأمل الغضّ في الفؤاد الفتيّ . فلمّا اعتدلت في نظرهِ جانست محاسنُها محاسنَ الوجود ؛ فترامى اللحظانِ ، وتناجى القلبان ، وطارت رسائل الوجد بين الروحَين على أجنحة الزفرات تبعثُ حنيناً وأنيناً وهياماً شديداً ؛ فذلك حيث يقول شاعر الشرق شوقي بك :

نظرةٌ . . . .

ثم توالى كرورُ الاصباح ، وكما تكبُر الاجسادُ تكبُر الارواح ، وكما تكبُر الارواح تكبُر الصبابات ؛ واللواعجُ ثمارٌ تُسقى مغارسُها بالدموع ، والشبابُ خصبٌ تنضج به اللواعجُ ، ونسائم السَحر تُغري الاشواق ،

ووجهُ الربيع يزيد الجرأة على الفتنة . واذ طال تعارُض الوجهين ، وتقابُلُ النظرَين ، جاءت طمأنينةٌ تمسكُ الروحِ ساعة اضطرابها ، فتألّقَ لها على الشفتين بارقٌ أُفترَّ عن مثل الدرّ المنظمِ ؛ فذلك حيث يقول شاعر الجمال:

... فابتسامٌ ... ...

ثم استمرَّ الغرامُ ، وتراضى القلبان ، واذِنَ كلٌّ لصاحبهِ بما اذن ، فكانت حاجة الى الإعلان ، فارتفعت يمينٌ كورَقة الآس ، أُمِرَّتْ على جبين كنفس الطفل ، واذا في الوجهةِ المقابلةِ رأسٌ ينخفضُ اجلالاً وخشوعاً وكذلك يضرع المطيعُ للمطَاع ؛ فذلك حيث يقول شاعر الخيال :

... ... فسلامٌ ... ...

ثم نما الهوى وارباهُ التراضي ، فاشتاقت الاذانُ الى مثل حظّ الاعين ، ولا بدَّ لما يُسَرُّ من الإعلان ؛ فتَساجلَ الشكايةَ صريعاها ، وقام اللسانان سفيرَين عن القلبين . هنالك حلاوةٌ تمازجُها المرارةُ ، وراحةٌ يتخلّلها التعب ، وللوجدِ بيانٌ لا تركّبهُ الفاظٌ ، ولا تؤديه عبارة . فبهما فاض ماء النفسِ من الثغرين المتباعدَين ؛ فذلك حيث يقول شاعر البيان :

... ... فكلامٌ ... ...

ثم تعارضت في الروحين قوّتان من السلب والايجاب ، وقعت شرارتهما على الحسّ فاضطرَم . غير ان الحكمة اطفأت ذاك الأُوار ، والصبرُ في اوائل الصبابة يغلُبُ عليها ، فتعالَجَ المحبّانِ بالامانيّ وما زالا يتواصيانِ بالرأي حتى غلبا عليه ، فاستثار الشوق كمينَ النفسين ، فاتفقتا

على التداني ؛ فذلك حيث يقول شاعر الحبّ :

. . .　　. . .　　. . .　　. . .　　. . .　　. . .

فلما بلغ الامرُ اقاصيهُ ، وعصفت شرّةُ الشباب بالرأي والجلَد فاستطارتهما ، ضربَ الصبَّان على سلاسل الأسر فتساقطت حلقاتهما في صلصلةٍ تصمّ الآذان ، وانطلق سهيلٌ يطلب الثُّريا ، وضمّ الروحينَ عناقٌ هو خاتمة السعادة والشقاء .

لله انت يا شوقي بك ؛ اذ تقول :

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ　　فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ

هذه روايةُ الغرام في بيت واحد ، لو نطق به الدهر لتاهت به صروفه .

الزهر

رأيتُ صباح اليوم أزهار الربيع على أكمل ما تكون ، إمّا في أكمامها، وآثار الصحة بادية عليها ؛ وامّا زاهية قد مزقت أكمامها وأسفرت من حجابها بينَ بين . لا هُنَّ نواشز خالعات العذار ، ولا هنَّ متخذات ستوراً من الاكمام والافنان . أسفرنَ فكاهنَّ قرة للعين ولذة للشم ومبعث لحركات العواطف . لا أعرف عن طريق اليقين الوجه في جمال هذه الزهور ولكنها في الواقع جميلة . كذلك لا أعرف الصلة الخفية بين رؤية الأزهار وشمّها وبين آيات الحب . جلّت حكمة الله أن تتناولها عقولنا . ولكن الأستقراء دلّ

على أن هذا النوع الأنساني منذ نشأ الى اليوم يتعشق الزهر ، ولا يطيب له مجاس لهوٍ الا اذا كان للزهر فيه المقام الاول منثوراً ومنظوماً صحباً أو اشتاتاً . بل كلنا يود أن يكون له بستان فيه زهر . ومن لم يجد هرع وقت فراغه الى الحدائق العمومية . ومَن لم يجد من الفلاحين أعجبه كثيراً أن يقيم وقتَ أنسه على قرب من زهر الفول . ومن لم يجد اتخذ له صورة بستان أو خيال بستان من الزهر في آنية الفخار يضع فيها القرنفل والورد في شبابيك داره . بل أصبح من القضايا البديهية أن الدلالة الوضعية على رقي أمة عنايتها بالزهر واستمتاعها به . وما هذا الاستقراء التام الاجاعل نسباً ثابتاً بين الزهر والانس ومسارح العواطف وحركات القلوب . لقد يسمج التعليل المنطقي في موضوع كهذا خفيفٍ بطبعه لا يحتمل ثقل المنطق ورصانة التدليل . ولكني أستأذن القارئ ان أستدل بهذا الاستقراء على أن الزهر من دواعي التقريب بين القلوب ، ومن عوامل الائتلاف بين الجنسين . وقد كان دائماً مفتاحاً تستفتح به هدايا الوداد . بل اتخذت ألوانه المتنوعة وأنواعه المتعددة علامات على المشاعر المختلفة التي لها علاقة بذلك المعنى المعروف بآثاره المجهول بكنهه وهو الحب

واذا كان الزهر من دواعي الحب ، وكان الحب داعية حفظ النوع ، وكان الربيع خير الفصول في وفرة زهره وجماله ، فهل يستطاع الامل بان هذا الربيع يدعو اللواة المماطلين من أبنائنا وبناتنا الى فكّ «الاعتصاب» الذي لزمهم أو لزموه هذه السنين الاخيرة عن اكبر واجب حيوي ؟ فينزل

كل منهم عن المثل الأعلى في خياله الى ما دونه من الأمثلة . ولا يتشدّد في التمسك بالاعتبارات الاضافية كفقر الزوج أو مركز أبيها في الحكومة .... الخ وأن يتساهلوا بعض الشيء ولو في بعض الشروط المعقولة عندهم غير المقبولة عندنا نحن الآباء لا بحجة العقل ولا الدين ولكن بحكم العادة الطويلة . هل يستطاع الأمل بأن هؤلاء المماطلين المتصعبين يخففون عنا كابوس الخوف من قلة النسل في الفرقة المتعامة من الطبقة الوسطى ؟ انهم لو ذاقوا تلك السعادة الزوجية ، وشملهم سلام العيشة العائلية ، وشعروا بلذة عواطف الابوّة لما احتاجوا الى الحافنا في المسئلة، وندموا على ما ضيعوا من ربيع الحياة　　احمد لطفى السيد

﴿ أقوال مأثورة ﴾

* قال لقمان لابنه : لا يكوننّ الديك أكيسَ منك ينادي وقت السحر وأنت نائم

* عاتب أخاك بالاحسان اليه ، واردد شرّه بالانعام عليه

* قيل لحكيم : أيُّ الملوك أفضل : ملك اليونان أم ملك الفرس ؟ فقال : من ملك غضبهُ وشهوتهُ فهو أفضل

* ما رأيت أحداً الا ظننتهُ خيراً مني ، لأني من نفسي على يقين ومنهُ على شكّ　　(العاملي)

* لا تفرح بالغنى والرخاء ، ولا تغتمّ بالفقر والبلاء ؛ فانّ الذهب يجرَّب بالنار والمؤمن يجرَّب بالبلاء　　(الامام علي)

في رياض الشعر

ذكرت الهوى

ذكرتُ الهوى أيامَ يصفو فنحتسي ... ويصفو الصبى عن جانبَيهِ فنكتسي

نقضّي مُنانا من رياضٍ وأوجهٍ ... ونشفي صَدانا من شفاهٍ وأكؤسِ

لذاذاتُ عيشٍ صالحٍ كُنَّ أنعماً ... فأُعقبنَ من حدثانِ دهرٍ بأبؤسِ

طوينا بقاياهـا ففاضت من الأسى ... بقايا قلوبٍ جازعاتٍ وأنفسِ

خلت أربُع الأهواءِ الاّ من البلى ... يعفّي بهـا آثارَ ملهًى ومجلسِ

تعوّضتُ عنهـا بالياً بعد مُونقٍ ... وبُدّلتُ منها موحشاً بعد مؤنِسِ

ألا هل لأيامِ الشبيبةِ رجعـةٌ ... فأطمعَ في ماضٍ من العيشِ مونسِ

تمتعتُ من دهري بظبيٍ مربّبٍ ... فقـد عاد يرميني بسِيْدٍ عملّسِ

أقول لنفسي والأسى يستثيرُهـا ... مكانكِ ان النفسَ بالنفسِ تأتسي

ألم تعلمي أنّ الزمانَ بأهله ... يدورُ وأنّ الصفوَ نغبةُ محتسٍ ؟

متى تطلبي ما ليسَ للدهرِ شيمةٌ ... تُعـاقي عن الأمرِ المرومِ وتُحبسي

أجدّك هل تقضين كلَّ لُبـانةٍ ... بطول التمنّي أو بطولِ التلمُّسِ

اذا الحاجُ لم تُقدَرْ فليس بنـافعٍ ... تقحّمُ إصليتٍ وإقـدامُ مُدعسِ

صرفتُ رَجائي عن مطالبَ جمّةٍ ... وليس الذي يرجو المحـالَ بكيّسِ

وعفتُ الدنايا فاحتفظتُ بمنصبي ... وأبقيتُ عرضي طاهراً لم يدنّسِ

سجيّةُ حرّ النفسِ لا متعرّضٍ ... لعوراءَ يبغيهـا ولا متمرّسِ

كريمٍ متى ما يَعْـدُ كفّيه منفسٌ ... يُدِلَّ بأغلى منـهُ قدراً وأنفَسِ

وما فاتني غُنمٌ اذا عفّ مطعمي ... وعرّي من سوءِ الأحاديثِ ملبسي

اذا ضرّس اللؤمُ الوجوهَ فشانَها بقيتُ ووجهي وافرٌ لم يضرَّسِ
وما راعني الاّ حسودٌ يعيبني على ما يرى من طيبِ عودي ومغرسي
لقد عجمتني الحادثاتُ فلم يلنْ مجسّي على بؤسِ الحياةِ وملمسي
أخوضُ الخطوبَ السودَ غير منكّب وألقى المنايا الحمرَ غير معبّسِ
وأسمو الى العاني أفرّجُ همّهُ اذا ما عنتهُ كربةٌ لم تنفّسِ
ولم تُخزني في مشهدٍ المعيّتي ولا خانني رأيي وصدقُ تفرّسي
ولست كساعٍ بالأباطيلِ والرُّقى الى الناسِ يُزجيها بضاعةَ مفلسِ
متى ما أقلْ قولاً فلستُ بكاذبٍ أصادي بهِ نفعاً ، ولا بمدلّسِ
تعوّدَ مني الدهرُ شيمةَ فاضلٍ وما اعتدتُ منهُ غير شيمة مومسِ
كلانا على ما آستنَّ جارٍ ومن يُقَدْ الى الشيمةِ العسراءِ يُعصَ ويشمسِ
وأعلمُ أني ما حييتُ مقلّبٌ فؤادي وعيني في ضياء وحندسِ

احمد محرم

« فؤاد « حافظ »

يا خافقاً قلْ لى متى تسكنُ للهِ ما تُخفي وما تُعلنُ
ياليتَ شعري عنك في أضلعي ماذا تقاسي أيُّها المُثخَنُ
وما الذي أبقاهُ من مهجتي ومن حياتي داؤكَ المزمنُ
يا ثغرَهُ من ذا الذي يحتسي بَرد ثناياك ولا يؤمنُ
يا قدّه هذي قلوبُ الورى معروضةً طوبى لمن تطعنُ
يا لحظهُ مُرْنا بما تشتهي كلُّ مُحالٍ في الهوى ممكنُ

حافظ ابراهيم

﴿ زهرة ورد ﴾

أممتُ الحديقةَ عند السحَرْ   أشمُّ نسيمَ الصبَّا والزهَرْ

وقد نشرَ الفجرُ أسلاكَهُ   فدبَّ بجفنِ النيامِ الشررْ

وأنشدَتِ الطيرُ آيَ الصباحِ   فأيقظتِ الزهرَ مثل البشرْ

ومرَّ النسيم بيقظى الرُّبى   فبثَّ بهِ كلُّ ثغرٍ عطِرْ

وكانت الى جانبي زهرةٌ   بثوبِ الكرى والندى المنهمِرْ

فأيقظتُها وهي في كِمِّها   كبكرٍ ببُرد الحيا تستترْ

فهبَّت ، وفي جفنها فترةٌ   وفي خدّها حمرةٌ ، تعتذرْ

وفي شفتيها الندى مالكٌ   عليها الكلامَ كثغرٍ حصرْ

فمالت اليَّ كأني بها   تسائلُ عن حالتي والخبرْ

فقلتُ : أراكِ بأسر الكرى   كأنكِ مغرمةٌ بالسَّمرْ

فهل أنتِ مثليَ مفتونةٌ   بما في الطبيعة يَسبي البصرْ

فقالت : وقد طار عنها الندى،   أيُعذَلُ صبٌّ يُطيل السهرْ

فما أنتَ منا بأسمى شعوراً   وليس الهوى فيكمُ محتكرْ

فقلتُ : وأنّى لمثلكِ قلبٌ   خفوقٌ بنار الجوى يستعرْ

نشدتكِ لا تدَّعي بالغرامِ   ففاهيمُ أسرارهِ قد ندرْ

يضنّون في حبّهم بالقشورِ   ولبُّ الهوى عنهمُ مستترْ

وهل يتمشى الهوى في النباتِ   وبعض قلوبِ الورى كالحجرْ

فقالت : أما زنتَ صدرَ حبيبٍ   فؤادكَ في باقةٍ كالزُهُرْ

أنا زهرةُ الوردِ رمزُ الغرامِ   حياةُ النفوسِ وروحِ الفِكَرْ

عشقتُ الطبيعة روحَ الجمال   وحبيَ في شمسِها والقمرْ

تبثُّ الحيـاةَ بهذا الوجودِ　　　فتُقرأُ آياتُهـا في الصوَرْ
وأما الغرامَ فلا ندَّعي　　　وليس لنـا منطقٌ للهذَرْ
وانّا علِمنـا من الحكماء　　　بأنَّ السكوتَ وعاء الدُرَرْ
فنحن سُكوتٌ وفي صمتِنا　　　لَننطقُ في معجزات السوَرْ

* * *

واذا جاء دوري بردّ الجوابِ　　　أتت هندُ في الموعد المنتظرْ
فعرَّفتُ بينهمـا ناشراً　　　لِطيِّ حديثٍ شذاهُ انتشرْ
وحكَّمتُها بيننـا بالرضى　　　فقالت وقد بادلتني النظَرْ
هي الجـاذبيّةُ بين النفوسِ　　　تدسُّ الغرامَ بسلكِ البصرْ
هي الجاذبيّةُ بين العنـاصرِ　　　إن تعْدُ منظومها ينتثرْ
وفي عالم الزهرِ تمشي الحيـاةُ　　　وما من شعورٍ لها أو وطَرْ
فقلتُ : وأنّى لها مثلَنـا　　　شعورٌ نغذّيه منذُ الصغَرْ
عشقتكِ ما فتنتني العيونُ　　　ولا ثغركِ الممتلي بالدُرَرْ
ولكن بنفسكِ لي جاذبٌ　　　هو الكهرباء فأين المفرْ
هو الحبُّ يحيا بروح الجمال　　　ولا تستبيهِ الحِلى والحِبَرْ
وأنتِ الجمالُ فمَنْ عاذري　　　اذا لم اكن فيـهِ ممن شعَرْ
فجودي على شاعرٍ بهواكِ　　　بآي السنى حليـةً للفكَرْ
فمـا الشعرُ دونكِ مهما علا　　　بأكثر من طَلَلٍ مندثِرْ

* * *

وذي زهرة الورد رمزُ الهوى　　　أزفُّ الى صدركِ المزدهرْ
فكلٌّ تلفَّتَ بي شاكراً　　　وبشَّ بصاحبـهِ وافتخرْ
وجاء الضحى ناثراً عقدَنا　　　الى الملتقى في رياضِ السحرْ

(لبنان)　　　احمد تقي الدبه

﴿ اذا ذهب الربيع . . . ﴾

أطلتِ تدللاً وأطلتُ صبرًا كلانا باذلٌ ما يستطيعُ
لقد أودعتِ قلبكِ ما بقلبي فضاعَ وكنتُ أحسبُ لا يضيعُ
رددتِ تضرُّعي ورددتِ دمعي فليس يُجاب عندكِ لي شفيعُ
فيا ويلاهُ من قلبٍ عصيٍّ يذوبُ بحبهِ قلبٌ مطيعُ
ويا لهفي على امل مباحٍ يدافع دونه يأسٌ منيعُ
ويا حزني على هذه الاغاني أردّدُها وليس لها سميعُ

* *

أسيدتي الرفيعةَ إنَّ روحي يقرّبها اليكِ هوى رفيعُ
وأيام الصفاءِ وإن توانت يُطاردُ ركبها نأيٌ سريعُ
اذا ذهب الربيعُ ولم أُمتَّعْ بنضرتهِ فلا عاد الربيعُ

ولي الدين يكن

﴿ شاعر يسلو ﴾

مَن مبلغُ الغيدِ عني قصةً عجباً تَبكي وتَضحكُ منها الغيد في حينِ
اني سلوتُ فلا هجر فيهدمني بهِ الغرامُ ولا وصل فيبنيني
فلتلبسِ الغيد من نسج الضحى حُللاً ولتعلم اليوم اني غير مفتونِ
وليُمتعِ النفسَ غيري في خمائلها وليقطفِ الورد من تلك البساتينِ
وليَهتَصِرْها أفانيناً مُهدَّلةً وليجنِ رمَّانَ هاتيكَ الأفانينِ
تلك الغصونُ وكم لوَّيتها بيدي وبتُّ احصي جناها بالموازينِ
حين المحبةُ تحت الكرم تُرضعنا والسحبُ ترضعُ أولادَ الرياحينِ

عبد الحليم المصري

الانشاء المترهل

شرع الدكتور شميل يطبع كتابه « حوادث وخواطر » وأتيح لنا ان نقف على مقدمته فاقتطفنا منها الكلمة الآتية في انتقاد هذا النوع من الانشاء الذي ضاع فيه فريق من كتاب العصر قال :

عنيتُ في الصيف الماضي (١٩١٢) بتقييد بعض حوادث مما مرَّ عليَّ ، وتعليق بعض خواطر مما يعنّ لي ، عساي ان أجد فيها ما أشغل بهِ أوقات الفراغ . وأفرّج كُرَب العزلة . حتى اذا كاد الصيفُ ينقضي نشبتِ الحرب البلقانية ، فوقفتُ في تلك حيث وقفت ، وعلَّقت على هذه ما علَّقت . — ثم ضممتُ الى ذلك بعض ما تيسر لي العثور عليهِ من مطويّ لم يُنشر ، ومنشورٍ مبعثر . وجمعتُ الكل في هذا الكتاب ، فجاء « من كل حرش عصا » او — من كل نبتة زهرة — على ذوق القارئ . وسمَّيتهُ « حوادث وخواطر »

حوادث هي بعض مذكَّراتي في حياتي القليلة الاختلاط الكثيرة الاعتزال . ان لم تتسع للرواية فقد تستوقف بدقة التحليل ؛ وان أقفرت من القديم المأنوس فقد يكون فيها شيء من الجديد الطليّ ؛ وان كثر فيها الجدُّ فقد لا تخلو من الفكاهة ؛ وان كثرت فيها المعلَّقات الخصوصية فلم أُهمِل من خلالها المرامي العمومية . — حوادث لم أنقلها عن يومية مدوَّن فيها كلُّ ما كان يعرض لي كما يفعل البعض ، ولا سيما الافرنج في مذكَّراتهم ، ولكنني اعتمدتُ فيها على ذاكرةٍ قلما تخونني في الوقائع ، وان كانت تتعثر كثيراً في التاريخ

وخواطر هي بعض أفكاري أُطلقها تجول في ما حولي ، وتمرُّ بي حتى أعماق نفسي ، وتنطق عن نظري الخاصّ ولو خالفت أحكامي أحكام سواي . وان لم أدَّعِ لها العصمة فاني أربأُ بها ان تميلَ مع الهوى ولو لقيتُ ما لقيتُ من عواصف

العواطف الغالبة حتى الساعة على أفعال سائر الناس ، والمتمكنة فينا اكثر من سوانا على نوع خاصّ

حوادث وخواطر سردتها سرداً كما جاءت غير متّبع فيهـا نهجاً مخصوصاً . ولم أتعمَّل فيها غالباً لئلاّ يجمح بي جواد المبنى فيخرجني عن جادَّة المعنى . فهجرت الوحشيَّ الفحليَّ ، ولم أقع في الحضريّ المترهّل ، وتقرَّبتُ كثيراً من العامة ، عسى ان تكون البلاغة في ما كان أدنى الى تبليغ المراد

قلت الحضريّ المترهّل لأني أرى اليوم مَيلاً كبيراً للتباري في نهج من الانشاء إن أجاد فيهِ البعض فقد قلَّ فية المفلحون . وان حلا في بعض المواقف فمن المُصاب ما يُغني . يترقق فيهِ اللفظ حتى لا يكاد يغشى السمع . يطوف على الازهار ويناجي نفوس الكواكب ، ويستمطر دموع الملائكة ، ويثير أشجـان القلوب . ولكن يحار الجنان في فهمهِ اذا تقصَّاه الى لبّه . فلا هو نشيد الاناشيد ، ولا هو مراثي أرميا ، ولا هو مصابرة أيوب ، حتى ولا هو تسبيح داود على قيثارتهِ . أو هو خليط منها يتلألأ ولكن كالبرق الخلَّب . ولا يبقى من جيّده في الذهن الا أثر النسيم على صفحات الماء ، ومن رديئهِ الا أثر الكابوس في الحالم . وشأنهُ في الحالين شأن الماس الكاذب ، فلا هو حليةٌ للتنافس ، ولا هو الفحم النافع باعتبار ان الماس الحقيقي فحم متبلور . — كأننا لم نهجر التقعر الجاف الا لنقع في الرقيق المائع . وبينهما ضحايا الفكر مقتولة على مذبح هيكل العواطف الثـائرة او الذابلة . — ولكم عرض لي وأنا أسمع هذا الشعر الجديد المنثور ، ان تذبل عيناي ، وتتدلى يداي ، ويتهادى ذراعاي ، كأنهما جناحان هبَّا بي للتصفيق ولكنهما هبَّا متكسرين كأني بهما الطير الواقع . — وما الناس بحاجة الى هذا التنويم المخدّر بعد ذلك المثار الجاهلي المدمّر

قلت اني تقرَّبت كثيراً من العامة ، ولا أريد بذلك اني تنزَّلت اليهم ، بل اريد اني تحديتُ الأسلوب الذي ينفتح للجميع على حد سواء ، بدون أن يُضطرَّ فيهِ الى تعمّلٍ يوجبه التأنق في الانشاء ، كثيراً ما يذهب بجهد الكاتب ، وقد يستمهل

فهم القارئ حيث يجب ان يُستحثّ ، ونحن ان لم نكن في عصر بالقياس الينا فالى عصر بالقياس الى سوانا الوقت فيه ثمين ، عسانا أن لا نبقى مقيدين في الأغلال على الاجيال . واستعملت كثيراً من ألفاظهم التي تعبر جيداً عن المراد ، والتي ان وجد بعد العناء في معجم اللغة ما يقوم مقامها ، فقد يعزُّ حتى على الأديب مغزاه حتى يتقصاه في مكانه ، والمقصود من الكتابة ليس الإغلاق . كما اني أثبتُّ كثيراً من كلامهم الجاري مجرى المثل ، لأن الأمثال حكمة الشعوب التي تعبر عن أحوالهم ومجرى أفكارهم في كل أطوارهم . ونهجت نهج الأمم الراقية من متقدمين ومتأخرين ، ونهج العرب أنفسهم في ابّان حضارتهم في مستحدثات الصناعة ومستنبطات العلم ، فلم أتحوّل عن مسمياتها في لغاتها ، الاّ حيث أمنت اللبس ولم أخشَ التشويش ، ولا سيما في هذا العصر الكهربائي الذي يتدفق فيه المستجد كل يوم تدفق السيل ، حتى صار التحوُّل عنهُ الى أوضاع الاجتهاد خروجاً عن المأنوس المدرك الى الوحشيّ المغلَق ، متبعاً في كل ذلك سنّة التحوُّل التي تتناول كل شيء في الطبيعة والانسان في العمران ، والتي لا يقوى عليها حتى ولا الجامدون المتمكنون من جمودهم مهما جمدوا

حوادث وخواطر لم أدارِ فيها ولم أحابِ ، وان أغضب ذلك النفوس التي لم تألف الا المدهدة . واذا كنت أُكثر فيها من الانتقاد أطلقهُ على ما حولي وأتناول بهِ حتى نفسي فلأن الانتقاد يبعث على التفكير . عسى ان يغلب علينا ما لا نحبّ مما يُحمد « فنحسّ بفكرنا » لا اننا « نفتكر دائماً بشعورنا » وقلما تنجح أعمال العقل اذا غلبته العواطف

ولا أخشى حملات العقلاء ، فاحترام كل فكر ضروري لحياة الفكر . والاصغاء الى كل نظرٍ واجب . — وأدفع حملات سواهم مستنصراً عليهم أبناءهم من أصلابهم فهم الذين يثأرون منهم . يثأرون الافراد المجنيّ عليهم والمجتمع الذي يسيئون اليهِ . وسرعان ما يكون هذا الاثئار اليوم

الدكتور شميل

نهضة اللغتين

« العربية والتركية »

حياة الأمم في آدابها العالية ، و بيانها الخالد ، بها تنهض ، وتسمو ، وتماشي الدهر ، وبها تستعزّ ؛ ولكَم من أمة كفل لها بيانُ لغتها بعثَها بعد أن طوى جهلُ حكامها صحيفة وجودها ؛ وفي بعث هذه الأمم التي ناهضت الترك وتناهضهم اليوم في سهول تراقية والروملي خير دليل و برهان ، فلئن هبّ علماء الغرب وشعراؤه سنة ١٨٢٠ لنجدة الأمة اليونانية فهم انما أرادوا باحيائها احياء لغة اليونان . فقد ضمنت اقلام كتبة آثينا الذاهبين الخالدين هذا الوجود الحاضر لمن استخلفوهم على لغتهم في ديارهم . فهم بما كتبوه منذ ألفي سنة بعثوا أمة اليونان منذ تسعين سنة

للّغات كالأمم أدوار عزةٍ وانكسار ، ولقد زهت لغتا العرب والفرس في أعزّ أيام دولها ؛ فكانت اللغة العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة في أوج عظمتها ورقيّها ، وفي مثل ما نرى فيه اليوم لغات باريس ولندن و برلين . فكانت تغصّ اروقة حلقات الدرس في مدنها – وهي أشبه شيء بجامعات مدن الغرب الكبرى في يومنا الحاضر – بمئات الطلاب القادمين اليها انتجاعاً للعلم ، كما تكتظ مدارس عواصم الغرب في هذا العصر بطلّاب الشرق ، ولم أرَ أمة شذّت عن هذه القاعدة غير الأمة التركية لأسباب تضيع في شرحها وتعليلها آراء علماء الاجتماع

مرت الأمة التركية بدور عزّة وعظمة لم ينقصا في شيء عن عزّة وعظمة أرقى الامم التي مشت قبلها على وجه هذه البسيطة . فلقد جاءت عشائرها مئات من جبال الأورال في الشمال واجتمعت ملايين عند اسوار ڤينا . فكانت ككرة الثلج تزداد في تدحرجها ضخامة الى أن ضعفت فأضمحلت بفعل النواميس الطبيعية ، كما اضمحلت

الامم التي تقدمتها بفعل هذه النواميس نفسها . ولقد بلغت الامة التركية هذا المبلغ من الرقي والنهوض ، ولغتها في الحضيض ، لا شعر ، ولا بيان ، ولا آداب سامية ، فكأن تلك الحروب والفتوحات جرفت الأمة كلها في سيرها الى الموت والفناء . الا أن الباحث المدقق يجد ان الامة التركية كانت كلها منذ بدء الفتح تشغل مناصب السيادة الملكية والعسكرية فلا تعرّض مقاتل افرادها الى الهلاك الاّ على قدَر . وما كان أولئك الذين فتحوا الديار وهاجموا الاسوار الا ابناء هؤلاء الاسرى الذين سقطوا في حروبهم مع الترك بين ايديهم فاعتنقوا الاسلام و وقفوا أجسامهم على خدمة الحرب ، فسار أبناؤهم على آثارهم الى ان اضمحلت اجواق الانكشارية التي قادت أعلامها خافقة الى النصر في كل مكان ؛ فكان في استطاعة الترك في أيام عز دولتهم احياء بيان لغتها وضربها على أعناق الدهر خالدةً خلود جميع اللغات التي تقدمتها والتي جاءت وستجيء بعدها . غير أنه لم يكن شيء من ذلك : فلقد مالت شمس عظمة تلك الدولة الى الأفول والغروب وشمس نهضة لغتها لم تبزغ بعد ؛ وهذا الحادث الغريب ، الشاذّ ، من أغرب الحوادث التي يسطرها التاريخ في صحائفه لابنائه الآتين

بدأت نهضة اللغة التركية الحديثة منذ خمسين سنة مضت فأخذت ترتقي وتنمو برغم الحوائل التي حالت دون نموّها في الثلاثين سنة التي مرّت بها من حكم عبد الحميد . فكتب أدباؤها ، وترجموا جلّ مؤلفات كتّاب الغرب وعلمائهم في العلوم والفنون ، والشعر والأدب . وساعدهم على ذلك وجود حكومةٍ لهم منهم تمدّهم بعضدها ، ومدارس في كل نوع من أنواع العلوم . في العلوم الحربية والبحرية ، وفي التاريخ والحقوق والاقتصاد وعلوم التجارة والزراعة ، فامتلأت مكاتبهم بآثارهم وأخذت لغتهم في الزهو والإشراق ، والحكومة في أحرج أدوار حياتها تنتقل من انكسار الى انكسار ، ولعلّ السبب في إقبالهم على النهوض بلغتهم في هذا الدور والعصر هو الانتفاع بها كسلاح لمقاومة الفناء . فاشتغلوا باحياء اللغة لفوائدها

لا لذاتها ، كما فعل غيرهم من الأمم . فقد انصرف العرب عن الاشتغال بالمُلك الى الاشتغال بالأدب ، وانصرف الترك الى الاشتغال بالأدب ، طمعاً باستبقاء المُلك

ولقد ماشيت اللغة التركية في فروق خمسة أعوام رأيتها فيها سائرة بقدم الجبّار الى الانتشار والاعتزاز ، فعمل لها ابناؤها في خمسة أعوام مثل ما عمل لها آباؤهم في خمسين سنة ان لم أقل اكثر . وكفاني دليلاً على اتساع الحركة الفكرية في الاستانة ان أقول ان عدد مطابعها بات أربعة أضعاف ما كان عليهِ منذ خمسة أعوام . وان أجرة المرتِّب التي كانت لا تتجاوز خمسة عشر غرشاً مرَّ عليها دور بلغت الستين غرشاً في اليوم

وقد رأى ادباء الترك ان لا مفرّ لهم من انشاءِ نادٍ يجمع شتاتهم ، يشتغلون فيهِ بايجاد الالفاظ ونحت المعاني و بعث اللغة ، فانشأوا نادياً لهم أطلقوا عليهِ اسم (فجر . آتي) لم يَخلُ من فائدة في نهوضهم فكان غرَّة مطلع ذلك الفجر . وعملوا مجدّين في ما أرادوه فكانت هذه الأعوام الخمسة التي مرَّت بهم سنوات بركة واسعاد في اللغة (فقط) . واذا نظرنا الى كتَّاب اللغتين العربية والتركية في هـذه السنوات الأخيرة نجد الآخرين أغزرَ مادة ، وأصحّ سنداً ، وأقوى بياناً

ليس مَن ينكر نهضة الآداب العربية الكبرى منذ الربع الأخير من القرن الماضي الى هذا اليوم ؛ فلقد بلغت دولة الشعر والأدب فيها مبلغ أزمانها الراقية في أيام العرب الأولى الزاهرة ، الاّ ان الحركة العلمية وما يلحقها لا تزال ضعيفةً من كل وجه ، فكتب التاريخ والعلوم قليلة لا تروي ظمأ الوارد ، ونظام العمل على النهوض بها مفقود ، فكم من كتاب ثمين بدأ ذووه بهِ وطووه . وهذه مجلدات دائرة المعارف وكتاب آثار الأدهار لا تزال تنتظر أناساً يكملون ما بدأ بهِ السلف الصالح . ففي مصر وسوريا والعراق حركة أدبية كبرى اليوم لا نظام لها ولا رابطة تربط ذويها ، على ان حصولها سهل ، واحداثها غير بعيد المنال . وفي نظارة المعارف

رجل كحشمت باشا دلّت سوابق أياديهِ على اللغة العربية على ان يديه لا تنكمشان عن مساعدتها . ففي قليل من عناية امراء هذه النهضة يُحقق الأمل ويتم الرجاء . وأول حلقة من حلقات هذا النهوض انشاء ندوة للمشتغلين بالأدب يسنّ لها نظام يربط ابناءه في مصر وسوريا والعراق حتى والمهاجر الاميركية . فتكون هذه الندوة أشبه شيء بغرّة الفجر الآتي العربي ، ونجمة هذه اللغة التي تهدي بنيها الى أفضل السبل للنهوض بها في معارج الفلاح . واذا كانت هذه النهضة الأدبية دليلاً على حياة الأمة العربية ففي تنظيمها وتسييرها في سبلها خير ضامن لها بالبقاء . فالى العمل والنهوض أيها الأدباء (مصر) ابراهيم سليم نجار

عهود الغادات

صديقتي العزيزة أنيسة

اليكِ مني هذا النبأ الغريب . انه لنبأ غريب ، لأنهُ كان في اعتبارك واعتباري غير محتمل الوقوع . ولكن صدق القائل « لا مستحيل على وجه الارض » . تودّين أن تعرفي هذا النبأ في الحال . ولكني أقول لكِ احزريه . ربما تظنين اني صرت غنياً عظيماً كأني اكتشفت كنزاً ، تحسبين ان الحكومة عينتني وزيراً ، او غير ذلك من الأمور الغريبة . ولكن امثال هذه الأمور — وان تكن غير منتظرة — أقرب في اعتبارك واعتباري مما سأقوله لكِ ، لانكِ لن تحزريه . وليس ذلك لأنهُ لا يحدث مثله كلّ يوم وكلّ ساعة بل لأنهُ كان عندنا غير محتمل الوقوع

أقول لكِ بلا تطويل في المقدّمات ان امينة قاطعتني ، وكنت أود ان اراكِ وانتِ ترددين في تصديق هذا النبإِ ، بل ان ارى دهشتك وقد تحققتِ صحته لأشاهد أبلغ حالة من حالات الاندهال والتعجب . ولكن لا صبر لي على كتمان هذا

الحادث عنكِ الى حين اللقاء . نعم ان أمينة نسيت او تناست ذلك الحبَّ الشريف الشديد المتبادل الذي كان يربط روحينا برابطٍ كنتُ اظن أن ما من قوة في الوجود تقدر على قطعه حتى ولا الموت . فهل تصدقين هذا النبأ

أنتِ صديقتها الحميمة ومستودع سرّ فؤادها . أنتِ التي طالما رأت الوجد يُسيل من مآقيها العبرات ، وطالما سمعت الهوى يصعّد من صدرها الزفرات ، وطالما رنّت في آذانك أقسامها المغلظة بأن « اتوس » هو حبيبها الوحيد الدائم ، وانها انما بحبه تحيا . انتِ التي تعرفين كلّ ذلك . هل تصدقين انني صرت لديها كغريب ، كأنّ لم يكن شيء مما كان .

نعم هكذا حصل . والأدهى انها لا تريد ان تقدم سبباً لهذه المقاطعة سوى « ان هذا الحب لا حاجة اليه ولا فائدة منه »

لكَم قلت لها – وأرجوكِ عذراً وصفحاً – ان قلوب النساء متقلبة ، وانها بقدر تسرُّعها في الميل تتسرع في الانحراف ؛ فكانت تقول لي « لستُ من تلك النساء . ان حبي لكِ لهو دمي الذي يجري في عروقي ؛ فحياتي هي البرهان على دوام وجوده » . وها هي الآن تحيا وتزداد يوماً عن يوم عافية ونضارة

يقولون ان جسم الانسان مجموعٌ مؤلف من خلايا حيوية صغيرة جداً دائمة الفناء والتجدد . فهل تظنين ان هذا الناموس الطبيعي — أي الفناء والتجدد — يغيّر هوية الشخص فيصيّره اليوم غير ما كان منذ سبع سنين

ان اميال النفس المختلفة — وسيدها الحب — لا توجد في الانسان عفواً ، بل لا بدّ لها من سبب . ولا أنكر ان هذه الأميـال تتغير أو تضمحل ، ولكنها كما وُجدت بسبب ، فزوالها يجب ان يكون لسبب ايضاً ، و بقدر ما يكون الميل شديداً ، يكون سببه عظيماً . فزوال هذا الميل الشديد يقتضي ان يكون سببهُ عظيماً ايضاً . فهل تستطيعين ان تستخرجي لي من أعماق صدرها سبب هذا الانقلاب العظيم

انتِ تعرفين تاريخ حبنا كلهُ وتقدرينه قدره من الاعتبار لأنهُ حبٌّ روحي كنا بكل جرأة نباهي بهِ ونفاخر . ولكنني لا أعلم اذا كنتِ تعرفين كيف نبت هذا الحبّ ونما ، فاعلمي يا أنيسة انني أنا الذي كنت ضحية هذا الحب بلا ذنب

كنت يوماً اتنزه مع نسيبةٍ لي ، فالتقينا اتفاقاً بأمينة تتنزه مع قريب لها ، وكان بيني وبين قريبها تعارف سابق ، وبينها وبين نسيبتي مثله ، فتبادلنا التحيات واجتمعنا نتحدث في شؤون مختلفة ، فما انتهت جلستنا حتى شعرت بأني نزلت من فؤاد امينة منزلاً حسناً . ثم تلاقينا فمدّت اليَّ يد التودّد ، فمددت لها يد الترحاب ، وكل منا يعجب بسجايا الآخر ، وهكذا نما الحب واشتد وتمكن مني

لم أتعشقها من نظرة كما يقولون ، ولا سعيت في جذب قلبها نحوي بالنصبي ، وهي خالية الذهن مني ، ولا سبقتها ببث الحب . بل لطالما عملتُ على اطفاء ما كان يتقد في نفسها من الشغف بي اتقاء لمبادلتها هذا الوجد خشية ان تنقلب عليَّ يوماً ، ويكون ولعي بهــا قد أزمن ، فلا يبقى الى الشفاء سبيل فأشقى وتسعد ، وأتألم ولا تبالي ؛ ولكنها كانت قادرةً ، فلقحت دمي بمكروب هواها ، وتركتني هازئة ، ولسان حالها يقول : اشفَ ان قدرت

هل أقول ان مظاهرها تلك كانت تفنناً في اختلاب الألباب واستهواء العقول . انكِ لا توافقيني على هذا القول ، وأنا لا أجسر على الجزم بهِ . انكِ تعرفين منها أنَّ حبها كان حقيقياً كحقيقة وجودها ، ولكن يمكنني الآن ان اكرر قولي لكِ — ولو ساءك — اكرره ولا أقبل فيهِ جدالاً ، ولا بضده اقتناعاً انقلب المرأة سريع الميل سريع الانحراف . ان حبّ المرأة فجائي الحدوث فجائي الزوال ولعلها في هذا الخلق أسعد حظاً من الرجل ، فلا تأسف على هناء ضاع ولا تذكر حباً كان ، في حين ان ثبات الرجل في حبٍّ لا أمل له فيه ولا عزاء ، انما هو كل الشقاء

ان الراويات الموضوعة التي تمثل وفاء المرأة وخيانة الرجل في الحب ، انمــا هي

تخيلات يُقصد بها التأثير على طبع المرأة الفطري لجعلها وفية ولو خانها الرجل ، ولكن عبثاً يتعب هولاء القصاصون

لقد اطلتُ القول وانتِ تنتظرين ان تعرفي كيف صارت هذه المقاطعة . نعم ، واليك البيان :

تعلمين أنا كنا نتقابل ونتكاتب ، فزرتها يوماً فوجدتها غائبة عن منزلها ، فكتبتُ اليها فلم آخذ جواباً ، فكتبت ثانية فجاءني منها الكتاب الآتي نصهُ :

١٠ ابريل حضرة الفاضل الكريم المحترم

تشرفت بكتابيك الأول والثاني ، المؤرخين في ٧ و ٩ الجاري، وها أنا اجاوب حضرتك عليهما معاً ، فأقول : لقد رأيت بعد التفكر الطويل ان علاقتنا القديمة لا حاجة اليها ولا فائدة منها ؛ ولذا أرجوك أن تعذرني على عدم تمكني في المستقبل من مكاتبتك ومقابلاتك ، بيدَ اني أبقى ذاكرة على الدوام مكارم اخلاقك وحسن شمائلك ؛ ولا أزال اعتبر نفسي الصديقة المخلصة أمينة

دهشت من هذا الكتاب ، ولم أفهم ما اقرأ لأول وهلة ، فكررتُ القراءة على مهل ، ويداي ترتجفان ، وعيناي تحدقان في هذه الحروف المرسومة ، لعلي استنتج من أشكال رقمها حالة الانفعال النفساني التي كانت امينة عليها عند كتابتها ؛ فوجدتها متناسقة جميلة ، على أحسن ترتيب ، مما يدلُّ على ان الكاتبة كانت على اتمّ ما يكون من الرواق والارتياح ؛ وجعلت أفسر هذا الكتاب الوجيز كما يفسرون طلسماً مبهماً ، فأخذ تفسيره عندي ما لو كتب لملأ مجلداً

صرت بعد « العزيز والحبيب » حضرة الفاضل الكريم المحترم

نعم ما دام أن قلبها قد انقلب ، فقد صار حبنا لا حاجة اليه ولا فائدة منه . على أنهُ قد كان ذا فائدة ، واليه حاجة فيما مضى ، قد كان الدم الذي بهِ تحيا

والمرء يحب الذكرى اللذيذة ؛ فأخذت مجموعة رسائل أمينة وجعلت أقلب في

صفحاتها ، فوقع نظري للحال على كتاب سأنقل اليكِ بعضاً منهُ . قالت :

« الوقت الآن نصف الليل . الناس نيام والطبيعة هادئة ساكنة . لا صوت ، ولا حركة . لم استطع النوم فقمت الى الحديقة لأناجيك . جلست على المقعد وتخيّلتك واقفاً بجانبي ترنو اليّ بتلك النظرات وتبسم لي . نسيم لطيف يمرّ بجانب وجهي فأحمله اليك تحيتي . ليتك الآن خارج غرفتك فكنت تسمع النسيم ينقل اليك قولي « أحبك دائماً » . تنشق هذا النسيم فان روحي صائرة معه اليك »

ولا يخلو كتاب من كتبها من مثل هذا المعنى

قلت لها مرة ؛ بل غير مرة : يا أمينة تحدثني نفسي بأن حبك هذا لا يدوم ، و يالشد ما أخشى زواله ؛ فقالت : بل يدوم الى الأبد . قلت : اسمعي . لا ينشأ الحب عبثاً ، بل لا بد أن يكون في المحبوب مزية او مزايا راقت في نظر المحب فأحب صاحبها ، واذا كنتِ قد رأيت بي مزية تحبينها ، فلست متفرداً بها وحدي ، بل أنها توجد في غيري ، وربما بصورة أعظم وأجلّ . وقد يوجد من يتحلى بمزايا ومحاسن متعددة ، والقلب يميل الى الافضل . قالت لقد رأيت كثيراً ولم أرَ مثلك . قلت سترين في المستقبل . قالت لن يوجد مثلك أبداً

راجعت ضميري فلم أجدني أتيت سبباً يوجب هذا الانقلاب . وأنت تعلمين انها حرّة بفؤادها وسلوكها ، فالسلطة الادبية لا تؤاخذها على حبها هذا الشريف ولا سلطة شرعية عليها تحول دون استمراره واعلانهِ . فليس اذاً هنالك سبب خارجي دعا الى هذا الانقلاب والسبب منها ولا شك . فما هو ؟

لقد صح انذاري . ورأت من هو أفضل مني حاولت الجمع بين حبين ، ولكن غيرة الحبيب الجديد قطعت صلة الحبيب القديم . هي تظنني أجهل هذا السبب فدعها مطمئنة الى ظنها . . . هنيئاً لها . . . !

انوس

ثمرات المطابع

* دليل لبنان وسوريا [١] — صدر الجزء الأول من هذا المؤلف الذي يهتمُّ بوضعهِ حضرة الكاتب الفاضل الشيخ بولس مسعد ، وقد تناول فيه البحث جغرافية سوريا الطبيعية والاقتصادية والسياسية وما يتعلق بتجارة تلك البلاد وصنائعها وفنونها وأديانها وطوائفها ولغاتها وحضارتها الى غير ذلك من الابحاث التي تدلّ على اجتهاد عظيم وتنقيب كبير لجمع المعلومات والمستندات اللازمة وإبرازها في أحسن قالب والكتاب مقدم الى دولة الامير محمد علي باشا شقيق الجناب العالي الخديوي الذي عرف السوريون قاطبةً أياديه وأيادي الأسرة العلوية عليهم وعلى بلادهم . ولا نشك في أن الاقبال سيكون عظيماً على هذا الكتاب لا سيما في مطلع فصل الصيف حيث يكثر عدد مرتادي لبنان وسوريا انتجاعاً للعافية فيجدون في « دليل لبنان وسوريا » كل ما يبتغون من الفوائد عن البلاد التي يقصدونها . وقد اهتمَّ الاجانب كثيراً بوضع مثل هذا الدليل لبلادهم تشويقاً للسائحين وتسهيلاً للمسافرين . فلم يكن بدٌّ من تأليف مثله عن لبنان وعدد المصطافين فيه يزداد عاماً فعاماً . فنشكر لمسعد افندي خدمته هذه ونثني على جده ونشاطهِ

* الترجمان الطلياني [٢] — عنيت ادارة المكتبة العمومية المشهورة بما لها من الآثار الطيبة في عالم المطبوعات بوضع هذا الترجمـان الطلياني باللفظ العربي ، فجاء شاملاً وافياً بالغرض المقصود . وهو مصدَّر بملحوظات مفيدة عن اللغة الطليانية وكيفية النطق بحروفها ، يليها معجم وافٍ في مفرداتها مرتبة حسب المعاني ، ثمَّ فصول عديدة للتخاطب في مواضيع متنوّعة . وقد وُضع بعد كل كلمة أو جملة معناها العربي وكيفية التلفُّظ بها بحروف عربية حتى انهُ ليسهل على الراغب في اللغة الطليانية أن يتعلّمها وحده لفظاً وفهماً بدون مساعدة استاذ

---

(١) طبع في مصر ويطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المعارف بالفجالة . وفي سوريا من المكتبة العمومية وثمنه ٣ فرنكات

(٢) طبع في المطبعة العامية في بيروت وثمنه فرنك ونصف مع ربع فرنك اجرة البريد





شبلي بك ملاّط

مندوب ادباء سوريّا

حافظ بك ابراهيم

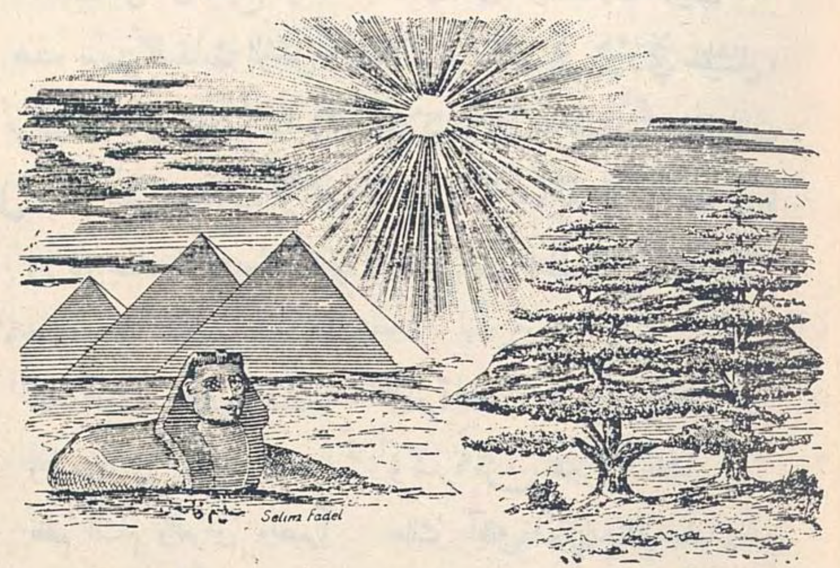
﴿ مثال من خط خليل مطران ﴾

وكان بها الصبح ان يتطلعا
ويقتص اوزار السماء كيف تقطعا [illegible]
ويرفع ثوب الليل عنه ليخلعا [illegible]
دنا طاهرا اجراه اثم فتى نذل فلم يطهر منه الذيل [illegible]

مقطع من قصيدته الشهيرة « الجنين الشهيد »

الحفلة الاكرامية

« لخليل افندي مطران »



حُيّيتَ يا وطناً تصبو القلوبُ الى أرجائهِ وبهِ الأرواحُ تغتبطُ
شمسُ المعارفِ في علياهُ جامعةٌ أطرافَهُ وهي فيما بينها وَسَطُ
ففي ذرى « الأرزِ » حبلٌ من اشعَّتها يُلقى وحبلٌ على « الاهرام » منبسطُ

ابرهيم اليازجي

في الحفلة التي أقامتها « مجلة سركيس » في الرابع والعشرين من الشهر الماضي ، احتفالاً بالانعام على خليل افندي مطران بالمجيدي الثالث ، تجلَّت هذه « الشمس » بأجلى مظاهرها ، والقت من قرصها الذهبي المتقد أشعة الحبّ والوئام والصفاء على مصر وسوريا اللتين كان يمثلهما في دار «الجامعة» نخبة الادباء والفضلاء والوجهاء في القطرين الشقيقين .

المحتفَل بهِ رجلٌ عرفهُ عشراؤه بالمروءة ودماثة الخلق وسعة الصدر وعفة اللسان والوفاء للصديق ، فأحبه الجميع . وكأن الشاعر عناه بقوله :

اذا كنتَ من كل الطباع مركّباً　　فأنتَ الى كل القلوب حبيبُ

هذه بعض صفات الرجل ؛ اما الشاعر الذي في بُرْدَي خليل ، فقد عرَفتهُ النفوس خلاّباً ساحراً ، والافئدة محرّكاً مستفزّاً . شهدت له بكلّ ذلك نبضات قلوب قرّائه ، كما شهد له اخوانه في الأدب بقوّة بيانه ، وذكاء جنانه ، فاسمعْ ما قالوا فيه في تلك الحفلة ، وشهادة مثل هؤلاء حجة . قال حافظ بك ابرهيم :

قد سمعنا خليلكم فسمعنا　　شاعراً أقعد النهى وأقاما

وطمعنا في شأوهِ فقعدنا　　وكسرنا من عجزنا الاقلاما

نظمَ الشامَ والعراقَ ومصراً　　سلكُ آياتهِ فكانَ الإماما

فمشى النثر خاضعاً ومشى الشع　　رُ وألقى الى الخليل الزماما

فعقدنا له اللواءَ علينا　　واحتفلنا نزيدُهُ إكراما

وما أبلغ هذه الشهادة اذا جاءت تزكيتها من حفني بك ناصف القائل:

يا شعر مطرانٍ لعب　　تَ بلبّنا ونفثتَ سحرَكْ

للهِ ما أحلاكَ يا　　سحرَ البيانِ وما أمرَّكْ

انْ ملتَ يوماً للثنا　　ءِ نثرتَ في الاسماعِ دُرَّكْ

واذا استفزَّك عابثٌ　　يوماً كفانا اللهُ شرَّكْ

واذا هويتَ خلبتَ مَنْ　　تهواهُ واستنزلتَ بدركْ

وقال نقولا افندي رزق الله :

تأمّلْ كرافائيلَ وارسمْ فهذهِ　　أمامك دنيانا وأنتَ المصوّرُ

صف الجوَّ والأفلاكَ والأرضَ والسما — وما تُظهِر الأيامُ منهـا وتُضمِرُ
نرنّم ببيتِ الشعرِ تُنعِشُ نفوسنا — فنحنُ ومن في الشرقِ نُصغي ونكبرُ

وقال نعوم بك شقير :

ويبدو كما شاء في شعرهِ — فطيرُ الأراكِ وليث الأجمْ
اذا رامَ ذمًّا فجمرُ الغضى — وإن رامَ مدحاً فزهرُ الأكَمْ
فقلتُ : أشاعرُ هذا الزمانِ — خليلٌ ؟ فقال الزمانُ : نعمْ !

وقال احمد افندي نسيم :

قوافٍ ، لو انّ الحسنَ صاغَ حروفها — بعقدٍ ، لكانت لؤلؤاً وزبرجدا
ولو سمعتْها الطيرُ في وكناتِها — لقالت هديل الشعرِ عاد وغرَّدا
ففي شعرهِ روحُ المهلهلِ تارةً — وآونةً روحُ الوليدِ اذا شدا

وقال اسعد افندي داغر :

أمير القوافي الذي صيتُهُ — كشمسِ الضحى عمَّ تسيارهُ
فرنّت قصائدُهُ في العراقِ — وجابت تهامةَ أشعارُهُ
وفي مصر ديوانُهُ عامرٌ — ورهط البلاغةِ نظّارُهُ

كل هذه الشهادات الثمينة سجلّها لمطران استاذُ الشعر في هذا العصر اسماعيل باشا صبري اذ قال :

قلمٌ تصدرُ الحقائقُ عنهُ — حالياتٍ في أجملِ الأبرادِ
ولسانٌ يمسي يُدبّرهُ فكـ — ـرٌ كبيرُ النهى كبيرُ المرادِ

وكان رئيس الحفلة وهلالها الساطع دولة الامير الخطير البرنس محمد علي باشا شقيق مليك مصر ، فجاءت شهادته لوحدها جامعةً لشهادة الادباء

والاصدقاء ، والشعراء والقرّاء فقال من خطبته النفيسة :

« ولقد سمعتُ منذ زمانٍ طويل بشهرة ذلك الشاعر الطائر الصيت ، فابتهجتُ بما وصل اليَّ من أفكاره السديدة التي تنبئُ عما هو عليهِ من علوٍّ في الهمة ، وثبات في الرأي ، ووفور في العلم . ولم يكن إعجابي بهِ لما أوتيهِ من المواهبِ الجليلة في دولة العلم فقط ، بل لما تحلّى بهِ ايضاً من الأخلاق الكريمة التي تحمله دائماً على سلوك طريق الاستقامة ، وتباعد بينه وبين التحقير للغير ، حتى صار بذلك محبوباً مرموقاً بعين الاجلال والاعتبار ، متأهباً لنيل المجد والفخار . . »

ولستُ أُدَّعي ان اقدّم لقراء « الزهور » في بضع صفحات كل ما قيل في هذه الحفلة النادرة وقد كلَّف سركيس جمعهُ مئة وستين صفحة من مجلتهِ ، ولا أن أصف في سطور قلائل ما شهدتُ ورأيت في دار الجامعة وقد تقصر عن ذلك الصفحات الطوال . غير انه لا يسعني الاَّ ان أخصَّ بالذكرِ اخواننا أُدباء لبنان وسوريا ، فانهم أحبوا اغتنام هذه الفرصة لاحكام الروابط الادبية المتينة التي تربط الامتين ، فأوفدوا أديبهم الكبير وشاعرهم البليغ شبلي بك ملاّط ليمثلهم في هذه الحفلة ، فقام بمهمتهِ خير قيام ، وأنشد قصيدةً عصماءَ اهتزَّ لها السامعون طرباً ، كما يحقُّ لموفديهِ ان يهتزُّوا لها عجباً ، وقد اكرمت مصر في شخصهِ الكريم ادباءَ سورية قاطبة ، فاحتفى بهِ امراؤها وسراتها وأعيانها وأدباؤها ، وعن اكرام المصريين للضيوف الادباء حدّث ولا حرج . . .

أعود الى الحفلة فأقول : وقد أراد فريقٌ من اصدقاء خليل مطران

والمعجَبين بهِ ان يقدّموا له شيئاً غير الشعر الثمين والنثر الغالي ؛ فأهدت اليهِ السيدة النبيلة مدام تقلا باشا والدة صاحب « الاهرام » ديوانه مجلداً في غلافٍ نفيس من الفضة المحلاّة بالذهب فكانت الهدية غايةً في الذوق اللطيف ، وأهدى اليهِ سعادة عبدالله باشا صفير قلماً ذهبياً ، رمزاً الى التبر الذي يسيل من قلم الشاعر ، وقدّم اليهِ عزتلو حبيب بك لطف الله النيشان المجيدي المنعم عليهِ بهِ . وحمل اليه مندوب سوريا من سعادة سليم بك ايوب ثابت ساعةً ذهبية جميلة . وأهدت اليه السيدة الفاضلة لبيبه هاشم صاحبة مجلة « فتاة الشرق » أبياتاً من الشعر في اطار جميل كتبتها بخطها الظريف

وقدّمت له الكاتبة الشهيرة الآنسة مي باقةً جميلة — في شكل خطبة غراء — جمعت ازهارها من رياض الخيال ، ورياحينها من حدائق الشعور ، فعطّر شذاها الارجاء وأنعش الارواح

هذا بعض ما جمعتُه لقرائي عن تلك الحفلة التي تحدّثت بها أنديتنا ومجتمعاتنا الأدبية كل هذه الأيام

اما صديقي سليم سركيس فكل ثناءٍ عليهِ يظلُّ دون همته وتفانيه وكفاه بنجاح فكرته مدحاً وتقريظاً . ولئن كان « الخليل » اهلاً لكل ثناءٍ قيل فيه فان « السليم » الذي كان « زنبلك » كل هذه الحركة يستحق ايضاً حظاً وافراً من الثناء . وقد بتنا نتوقع له نصيباً من انعامات أمير النيل لنعقدَ له حفلة لم ترَها عين ، ولم تسمع بها اذن ، ولا خطرت على قلب بشر

عصا حافظ وجزمة الشمّيل

حافظ ابرهيم وخليل مطران يشتغلان الآن معاً بترجمة كتاب «علم الاقتصاد» للكاتب الفرنسوي «ليروى–بوليو»؛ فتراهما يروحان ويجيئان بين المكتبة والمطبعة، ويبحثان وينقّبان عن لفظةٍ عربية تؤدّي معنى الاصطلاحات الافرنجية. وليس ذلك دائماً بالأمر السهل؛ وسأعود الى زيادة التفصيل عن هذه المسألة في جزءٍ آتٍ. ولم أذكر اليوم كتاب «علم الاقتصاد» إلاّ عرَضاً فقط، لأنهُ جمعني في ٦ ابريل الماضي بأحد نصفي المعرّب حافظ بك ابرهيم، فلمحتُ في يدهِ عصا عليها شارةٌ نُقِشَ فيها تاريخ إهدائها اليهِ، فاذا هو «٦ ابريل ١٩٠٧». اتفاقٌ غريب! وأغربُ منهُ ان تلك العصا قد رافقت «حافظاً» ستةَ أعوامٍ كاملة، سلمت فيها من البيع والرهن والسرقة

عجباً له حفظ العنانَ بأنملٍ　　ما حفظُها الاشياءَ من عاداتها

ولعلّي أدركتُ السرَّ في بقائها، فهو يهشُّ بها على غنمهِ ولهُ بها مآرب أُخرى: فبها يضربُ القوافي فتتفجّرُ لهُ سحراً حلالاً، كما كان موسى يضربُ بعصاهُ الصخرَ فيتفجّرُ لهُ ماءً زلالاً. أو لعلَّ «عصا حافظ» لها منزلة من نفسهِ كمنزلة «جزمة» الدكتور شميّل، وقد أودعها كلَّ ضروب الفلسفة

وحكاية هذه «الجزمة» انني زرتُ يوماً الدكتور الحكيم برفقة رهطٍ من الادباء، فوجدناه في غرفة عيادتهِ جالساً الى مكتبهِ، وهو في ملابس البيت؛ فحادَثَنا وحادثناهُ مدةً؛ ثم اشتدَّ الجدالُ على مسألةٍ من المسائل، فقال الحكيم هازلاً «دعوني أشدّ جزمتي، فأكون أقوى حجةً، واكثر استعداداً للمناقشة» قال، ونهض الى مخدعهِ، وعاد على تمام الأهبة بعد أن «شدَّ جزمتهُ»، فقلتُ له: «قد أدركتُ سرَّك يا حكيم، وعرفتُ مواطن الضعف فيك، فانَّ منزلة هذه «الجزمة»

منك منزلة شعر شمشون منهُ » فضحك الشميّل ضحكتهُ المعتادة ، فزدتُ جرأةً وقلت : « متى اشتدَّ تقريعك لنا في « جلسات سبلندد بار » سنعمد الى جزمتك ، وننزعها من رجليك ، فندعك أعزل بلا سلاح . . . »

أما وقد عرف القرَّاء سرَّ حافظ والشميّل ، فلينزعوا من الأوّل عصاه ، وليسلخوا من الثاني جزمتهُ ، اذا أرادوا ان يستريحوا من فلسفة هذا وشعر ذاك . على انني أخشى ، وقد بحتُ بالسرّ ، ان يتحوّل القراء الى جزمجية وحطّابين ، حتى يتمتعوا طويلاً بذلك الشعر الريّق ، والنثر الشيّق

داهر

من كل حديقة زهرة

* ابتدع أحد الاطباء الاميركان طريقةً لخدمة المرضى ، وهي أنه ربَّى كثيراً من الحمام الزاجل وجعل أوكار هذا الحمام الى جانب صيدليته . فاذا ما دُعي لمعالجة مريض ، حمل معه بعض الحمام فيكتب الوصفة ، ويعلّقها بعنق الحمامة ، ثم يُطلقها الى الصيدلية ، فيتناول الصيدلي الوصفة ، ويركّبها ، ويرسلها الى المريض مع راكب درَّاجة

* دعا مدير سجن سنت كوانتن في سان فرنسيسكو الممثلة ساره برنار لتمثل أمام ١٩٠٠ سجين في ملعبٍ أقامه في فناء السجن . وبعد التمثيل ناط المسجونون بواحدٍ منهم تلاوة خطابٍ باسمهم وجهّوه الى الممثلة الشهيرة

وحدث في سجن ريفرهرد ان سجينةً شكت مدير السجن لانه يعاملها معاملة سيئة . فاظهر التحقيق أن السجَّانين يقيمون حفلات رقص وغناء داخل السجن للنساء والرجال ، فالسجَّانون ومديرهم كانوا يفضّلون الرقص مع الفتيات الاصغر عمرًا من الشاكية التي أربى عمرها على الخامسة والاربعين

٭ وأنشأ الاميركان في نيويوك سجناً للازواج المطلَّقين الذين يأبون دفع النفقة لنسائهم جعلوه نادياً يلعب فيه المسجونون ويأكلون ويستحمون ويتعاملون كأنهم في أحد لانديه . وقد دلَّ احصاء السجون الاميركية وميزانيتهـا على ان هذه الحكومة تُنفق على السجين من هولاء في كل عام ١٨٥٠٠ فرنك

٭ يعرفُ علماء الفراسة أخلاقَ الانسانِ من أسرَّةِ وجهه وتقاطيع رأسه . ويعرفُ فريقٌ منهم هذه الاخلاق والاميال والاهواء في الانسان من خطوط يدهِ . وقد ظهر في اوروبا مذهبٌ جديدٌ ، وهو ان الانسان يُعرَفُ من تركيب رجليهِ وقدميه . واصحاب هـذا المذهب يقولون « الرِّجلُ هي الرَّجُلُ » واشتهرت الكونتس دي روشفو كولد في ذلك والفت في هذا الفن كتاباً

٭ سنّت ولاية ايلينوا الاميركية قانوناً للصحافة يقضي بألاّ يُسمح لاحدٍ بتعاطي الحرفة الصحافية في تلك الولاية دون أن يكون حاملاً الشهادة بذلك بعد أن يقضي أربع سنين في تلقي هذا الفن . ولا يعطى الشهادة الا اذا امتُحِنَ امامَ لجنةٍ تثبتُ قدرتهُ وأدبهُ وطيب أخلاقهِ . ومن راسل جريدةً دون أن يكون حاملاً الشهادة يغرَّم من دولار الى خمسة دولارات وتغرَّم بمثل ذلك الجريدة نفسها

٭ سئل كثيرون من كبار الفرنسويين رأيهما في تخويل المرأة حق الانتخاب كالرجل ؛ فكانت الغالبية من المنكرين على المرأة هذا الحق . ولكنَّ فريقاً منهم استثنى من ذلك المرأة التي لا يمثّل عائلتها أحدٌ في الانتخاب . فهذه تخوَّلُ حقَّ الانتخاب . أما المتزوجة فيرى ان زوجها ينوب عنها

٭ في أمثال الصينيين في الزواج « ان الزواج قلعـةٌ محاصَرة : من كان خارجاً عنها ، يودُّ الدخول اليها ؛ ومن كان فيها ، يودُّ الخروج منها »